أهل الصفة
لدراسات التصوف وعلوم التراث

مجلة علمية دولية مُحكمة
تعنى بحقائق علوم الشريعة
ودقائق علوم الحقيقة

ردمد (النسخة المطبوعة): 4967 - 3062
ردمد (النسخة الالكترونية): 4975 - 3062

المجلد الثالث - العدد الأول
ذو الحجة ١٤٤٧هـ
يونيو ٢٠٢٦ م

البيت المحمدي للتصوف

تصدر عن أكاديمية أهل الصفة لدراسات التصوف وعلوم التراث
بمؤسسة البيت المحمدي المشهرة برقم (10684) لسنة (2017)

Ahl al-Suffa Journal for Sufi Studies and Heritage Sciences Vol. 3 No. 1, pp. 169-232 (June.2026)
DOI: https://doi.org/10.70703/95mvw773
E-ISSN 3062-4975/ ISSN 3062-4967

من سير الصالحين؛ الشيخ عبد الله المنوفي (749هـ/ 1348م) من خلال كتابات تلميذه الخليل وكتاب مناقب المنوفي: دراسة حضارية

SHAYKH ʿABD ALLĀH AL-MANŪFĪ (749 AH/1348 CE) IN THE WRITINGS OF HIS DISCIPLE AL-KHALĪL AND THE MANĀQIB AL-MANŪFĪ: A CIVILIZATIONAL ANALYSIS[1]

محمد سالم عباس الصعيدي الأزهري

أستاذ التاريخ والحضارة المساعد بجامعة الأزهر، مصر

Muhammad Salim Abbas al-Saʿidi al-Azhari

Associate Professor of History and Civilization
Al-Azhar University, Egypt

(1) Article received: January 2026; article accepted: May 2026

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والفحص والتمحيص، شخصية من أهم شخصيات التنوير والتفكير في عصر دولة سلاطين المماليك، وأحد أساطين التصوف، أعني به العلامة الفقيه، بقية السلف، بدر الزمان، الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله، من خلال مخطوط مناقب المنوفي، وهو مخطوط كتبه تلميذه النجيب، وولده وخليفته في العلوم والفنون الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، الفقيه المالكي، وقد التزم الباحث فيه نهج المخطوط، في السير وفق ترتيب الأبواب التي صار عليها المخطوط، موضحا بالشرح والتوضيح ما ورد من أماكن وتراجم، مع التعليق والتوضيح والبيان، والتفصيل للمترجم له، من حيث النشأة والمولد، ثم الحديث عن شيوخه، وأثرهم في شخصيته، مع بيان جوانب حياته وتصوفه من خلال استعراض المخطوط، ثم الحديث عن تلاميذه، وبيان أثره الفكري والعلمي والتنويري.

Abstract

This study examines the life and legacy of one of the most significant figures of intellectual and spiritual enlightenment during the Mamluk Sultanate, namely the jurist, scholar, and Sufi master Shaykh ʿAbd Allāh al-Manūfī, may God have mercy on him. The study is based on the manuscript Manāqib al-Manūfī, written by his distinguished disciple, son, and successor in the sciences and disciplines, Shaykh Khalīl ibn Isḥāq al-Mālikī, the renowned Mālikī jurist. The researcher follows the structure of the manuscript, proceeding according to its arrangement of chapters. The study explains and clarifies the places, biographical references, and historical details mentioned in the manuscript, while providing commentary, analysis, and contextual discussion. It presents the life of al-Manūfī in terms of his upbringing and birth, then examines his teachers and their influence on the formation of his personality. It also explores aspects of his life and Sufi practice through the manuscript, before addressing his students and highlighting his intellectual, scholarly, and reformist impact.

الكلمات مفتاحية: المنوفي– تصوف– الخليل– زهد –كرامات.

Keywords: al-Manūfī; Sufism; al-Khalīl; Asceticism; Karāmāt.

المقدمة

إن أول فرض نزل على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في قول الحق جل جلاله: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[العلق: 1]. وبين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن العلم أشرف ما يحمله الإنسان ويتسلح به، وأن القلم أشد وأمضى من السيف، بل أقولها: إن ما تفعله الأفكار والأقلام في عقول الشباب ومستقبل الأمم أشد مئات المرات مما تصنعه المدافع، والمدرعات وآلات الحرب، فربما تمكنت من احتلال بضع كليو مترات تسترد فيما بعد، أما الأفكار فتحتل العقول لمئات السنين وعلى مر العقود، وتعبر البحار والمحيطات! وعليه فقد عزمت أن أكتب عن أحد أعلام الفكر والثقافة، وأحد قادة التنوير في مصر في العصور الوسطى، أحد الأساطين التي يرتكز عليها الفكر الأزهري الأصيل، اسم ربما تردد كثيرا في أروقة المشتغلين بحقل الفنون والتراث والآثار، أعني المترجم له، مولانا العلامة عبد الله المنوفي.

فقد قمت بتسطير هذا البحث عن علم من أعلام التصوف في العصر المملوكي، أعني به شيخنا الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله رحمة واسعة، من خلال مخطوط مناقب المنوفي:

أولًا: أهمية البحث:

1- كشف اللثام عن أحد أهم أعلام التصوف في العصر المملوكي.

2- بيان ماهية التصوف الحق، وأهدافه وسبله وطرقه من خلال الحديث عن أحد أهم نماذجه في تلك الحقبة.

3- تزويد المكتبة التاريخية بترجمة لشخصية تاريخية وحضارية وفكرية؛ لم تنل حظها الوافر من الضوء والتعريف.

ثانيًا: أسباب البحث:

1- التنقيب في بطون كتب التراث عن أحد الكنوز المنسية، وبيان ماهية التصوف الحق.

2- تسليط الضوء على محاسن مصر في عصر من عصورها الزاهية، وبيان أثر التصوف في الشخصية المصرية.

3- تقديم النماذج المضيئة من الشخصيات المصرية البارزة ذات الأثر.

ثالثًا: إشكالية البحث:

تدور مشكلة البحث حول مكنون شخصية المتصوف والمتصوفة في مصر، في عصر دولة سلاطين المماليك، من خلال فهم جوانب شخصية الشيخ عبد الله المنوفي وتحليلها، تحليلا نفسيا تاريخيًّا فكريًّا.

رابعًا: أهداف البحث:

1- تسليط الضوء على أحد جوانب الحضارة الإنسانية في عصر دولة سلاطين المماليك.

2- إبراز جانب من جوانب التصوف في خدمة الحضارة الإسلامية.

خامسًا: الدراسات السابقة:

لم تفرد دراسة بعينها للترجمة، إلا ما قام به فضيلة مولانا الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان رحمه الله من تحقيق المخطوط، لكن برأيي أن ثمة أمور تاريخية وجغرافية، وحضارية أخرى بحاجة لإبرازها، وجزى الله أستاذنا خيرا أن قام بعمل كبير وجهد مشكور.

سادسًا: منهج البحث:

سلك الباحث أكثر من منهج، أهمها المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، حيث تتبع ما كتبه الخليل في مخطوطه، مع متابعة الفصول والأبواب التي صار عليها الخليل، والوقوف عند بعضها، والتعقيب عليها، والربط بين ما كتبه الخليل وبين ما ذكره أهل العلم من المؤرخين والأصوليين، والتنبيه على بعض الأمور التي تحتاج إلى تدعيم من كتب التراث في المجالات المتعددة!

سابعًا: خطة البحث:

أما عن خطة البحث فقد قسمتها على هذا النحو:

المقدمة، يعقبها التمهيد: وتناول الأصل والنسبة والنشأة.

ثم المبحث الأول: وجاء عن شيوخه.

ثم المبحث الثاني وعنوانه: (علومه وفضله) وجاء على ثلاثة مطالب: الأول علومه، الثاني ورعه، الثالث حلمه.

ثم المبحث الثالث وعنوانه: (طرف من أخلاقه) وجاء على مطلبين: الأول بعنوان صبره وتواضعه، والثاني وعنوانه فقره مع كرمه.

ثم المبحث الرابع وعنوانه: (أحواله وكراماته) على ثلاثة مطالب: الأول مكاشفاته، والثاني بركته على ولده وصحبه، والثالث بعنوان المنوفي مجاب الدعوة.

ثم الخاتمة وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد:

اسمه ونسبه: عبد الله بن محمد بن سلمان المنوفي ت (749هـ/1348م) أحد الأعلام البارزة في تاريخ الفكر والثقافة، في مصر في العصور الوسطى، أصله من إقليم البحيرة، ثم استقر به المقام في مصر الأزهر، فنهل من معين مشايخها، وطاف بكبرى مدارسها، ولا سيما الأزهر المعمور، وقد كان رحمه الله يجمع بين الصلاح والعمل، تفقه علي يد كبار المذهب المالكي أمثال ابن الحاج (ت:529هـ) وغيره، وقد أفرد له تلميذه خليل صاحب مختصر الخليل أحد أهم كتب الفقه المالكية، والذى درس في الأزهر وكان ولا يزال أحد أعمدتها الأصولية والفقهية في فقه الإمام مالك – رضي الله عنه- ترجم لشيخه في مخطوط بعنوان مناقب المنوفي، وذكر أنه ولد بقرية شابور[2] سنة 686 هـ/ 1287م، وتوفي سنة 749هـ/ 1348م، فكان جملة عمره ثلاث وستون سنة، في إشارة بليغة وكرامة تضاف إلى كراماته فقد عاش النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم مثل هذا العمر تقريبا!

المفارقة الثانية: أنه نشأ يتيما رحمه الله فقد مات والده وهو في التاسعة من عمره، ولما حضرته الوفاة أوصى أمه به خيرا، فقال لها: لا تخرجيه من الكتاب فقالت كيف ذاك، وأنا فقيرة لا مال لي، قال يلطف الله بكما، فلما جاء الشيخ سليمان أحد الصلحاء القادمين من منوف جلس إليه الطفل وذلك في سنة 694هـ/ 1295م، فأعجب بنبوغه وقوة حافظته، فحفظ على يديه ونسب إليه، واشتهر بالمنوفي نسبة إلى الشيخ سليمان المنوفي!

(2) إحدى قرى محافظة البحيرة، وتتبع مركز حماده حاليا، وقد نوه إليها علي مبارك بقوله" قرية من مديرية البحيرة بقسم النجيلة، على الشط الغربي لبحر رشيد، في مقابلة كفر الزيات. للمزيد ينظر: علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1425هـ، 2005م)، 12/ 298.

من عجيب ما ذكره تلميذه عن أبويه: أنهما كانا من الصلاح والورع بالمكان رغم فقرهما، وروت أمه أن أبوها كان يتابعها، ويلزمها على صغر سنها على الصلاة والورع، ويرشدها لمكارم الأخلاق، تقول وكنت في رمضان ورأيت كأن نورا عظيما، وأبواب السماء مفتحة، وكل شيء يسجد لله تعالى، فعلمت أنها ليلة القدر فناجيت الله أن يحببني في الصلاة، فحكيت لوالدي، فقال: يا مسكينة!، لو سألت الله دخول الجنة بغير حساب!

تقول: فتزوجت من ثلاثة رجال أخرهم أبو عبد الله، فما تركت صلاة الصبح مرة، وأصلح الله لها في زوجها وولدها![3]

ولعل ملازمة الشيخ رحمه الله للشيخ سليمان المنوفي أثرت فيه كثيرا، وتشبه تلك العلاقة، علاقة مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنه بشيخه وكيع رحمه الله، حيث لزم الشيخ وعمل عنده مؤدبا، أو مساعدا في تحفيظ الصغار كتاب الله، مقابل اعفائه من أجرة المكتب، وحسبة لله تعالى، ولما كان الشيخ صوفيًّا على الطريقة الشاذلية فقد تأثر به الشيخ عبد الله، فنال منه الاسم والسلوك، وكان الشيخ عبد الله في خدمة شيخه وتحت قدميه لما بلغ الشيخ من الكبر عتيا، يخدمه كأنه ولده من صلبه، ويحفظ لشيخه حق رعايته صغيرا، والشيخ يدعو له ويخبر بأن الشيخ سيكون له شأن عظيم، ومستقبل واعد، ونجم طالع، صبح وشمس لا تغيب أبدا!

أما عن أستاذه الأول، وشيخه الأكبر، ومؤدبه فهو الشيخ سليمان المنوفي كان يقرئ الْأَطْفَال ويؤدبهم احتسابا وَأَنه رِبِّي الشَّيْخ عبد الله وعمره تسع سِنِين سنة نَيف وَتِسْعين وسِتمِائَة إِلَى أَن كبر وَبلغ الْغَايَة فِي الْعِبَادَة[4] وقد ترجم له الخليل فقال: كان الشيخ سليمان من الأولياء الكبار، العارفين بالله، المتمكنين، وكان شاذليًّا، انتفع سيدي الشيخ عبد الله

(3) خليل بن إسحاق الجندي، مناقب الشيخ عبد الله المنوفي مخطوط، مكتبة الأزهر رقم(3577) 5482، ورقة رقم 11

(4) أحمد بن علي ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1392هـ، 1972م)، 2/ 315.

به، وخدمه كثيرا، وكان رحمه الله يربي الصغار ويعلمهم الأدب والخير، ومما حكاه الخليل نقلا عن شيخه عبد الله نقلا عن شيخه سليمان، أن الشيخ أراد أن يبرهن لطلابه على قيمة الصديق، ويضرب لهم نموذجا عمليا على الجليس الصالح والجليس السوء، فصنع الشيخ لهم مفتاحا من أثل[5] شديد البياض، ووضعه بكوة[6]، قريبة من الفرن، وبعد قليل تغير إلى اللون الأسود، فقال للصغار: أنظروا يا أولادي، كيف تصنع الجيرة! فلا يخالط أحدكم إلا أهل الخير، ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ،** .»[7]. وقد خدم الشيخ المنوفي شيخه كما لو كان والده، حتى أنه كان يدخله إلى الخلاء، ويقوم بحاجته أكثر من ولده الذي من صلبه، ويحكي الشيخ الخليل عنه كذلك، أن الشيخ سليمان في يوم أمر الأطفال بتنظيف الخلاء من فضلاتهم، فانصرفوا جميعا ولم يبق إلا الشيخ عبد الله، فسأله أين الصغار؟ فسكت! فلما كرر عليه السؤال قال: ذهبوا! قال لم يفلح فيهم غيرك[8].

الشيخ في القاهرة: لما بلغ الشاب القوي، العالم النحرير أشده وأستوى، وبلغ من علم التأويل مبلغا، وتمكن من حفظ كتاب الله قراءة وأحكاما وتلاوة، ووقوفا عند الأحكام والحدود وفهما لما فيه، وتفريقا بين المحكم والمتشابه، ومعرفة لمواطن الوقف والابتداء، ولما كان أهل الريف في مصر يثقون في شيخ شيخنا الشيخ سليمان المنوفي فقد طل أهل

(5) شَجَرٌ يُشْبِهُ الطَّرْفاء، إلاّ أنّه أَعظَمُ مِنْها وأَجْوَدُ منها عُودا، تُصْنَعُ منه الأَقداحُ الصُّفْر الجياد ويمتاز بنضارته. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (القاهرة: مكتبة الهلال)، 8/ 241.

(6) الطاق أو الفتحة الغير نافذة في الجدار يوضع فيها المصباح وما في حكمه. علي بن الحسن كراع النمل، المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الطبعة الثانية، (القاهرة: عالم الكتب، 1988م)، ص249.

(7) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار التأصيل، 1433 هـ - 2012م) 3/ 184 (2108).

(8) مناقب المنوفي ورقة 12.

الطرانة[9] من يقيم لهم ليالي رمضان، تلاوة وتهجدا وعبادة، فرشح لهم الشيخ سليمان الشيخ عبد الله، وقد دفعوا للشيخ ثلاثين درهما، كانت زاده إلى القاهرة العامرة، ليلتقي بشيوخها ورجالها، يقول فجعلت انفق في الدراهم درهما درهما، حتى إذا لم يتبق إلا درهمين وأنا جالس في المدرسة الصالحية، وإذا بقيمها وناظرها وكان يعرف بسبيع قال ألا أدلك علي مسجد تؤم أهله؟! فدلني على مسجد في العطوف، مقابل ثلاثين درهما، يقول الشيخ فمكثت على ذلك مدة، حتى عرض على شيخي الشيخ شمس الدين التونسي عمل أفضل بمقابل أعلى، فقال: يا عبد الله كم يساوي اللحم؟! فقلت لا أدري! فقال خذ هذين الدرهمين واشتري بهما لحما وكله الليلة!

(9) الطّرّانة: من القرى القديمة، وردت في كتب الجغرافية العربية التي كتبت قبل منتصف القرن السادس الهجري باسم «ترنوط» وهي تقع على الشاطئ الغربي لفرع النيل الغربي (فرع رشيد)، وهي اليوم تقع في دائرة مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة. ينظر: أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1422 هـ - 2002م)، 3/ 773، حاشية رقم(1).

المبحث الأول

شيوخه

1- يُعد الحافظ شمس الدين التونسي (ت 715هـ) من أبرز شيوخ الشيخ عبد الله المنوفي، وقد جمع بين العلم والمكانة الاجتماعية. ويروي "الخليل" في مخطوطه موقفاً نبضه الوفاء والكرامة؛ إذ تفرس التونسي في حال المنوفي الفقيرة عند قدومه للقاهرة، فبدأ بمواساته ثمن اللحم، ثم أتبعه بمبلغٍ كبير (ستين درهماً) أرسله له عبر "الصيرفي"، تعبيراً عن رعايته له، وتوج ذلك بإنزاله في "المنكوتمرية" لإكرامه وتوفير مأوى يليق به [10] من شهرين، وتلك أجرة الشهرين! فتركت المسجد وحصل للناس آسف عظيم!![11].

2- الإمام القُدْوة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد، العَبْدَري، الفاسيُّ ثم المِصري المالكي، المعروف بابن الحاجِّ (737هـ/1337م) القدوة الزاهد العالم، الفقيه، ولد بمدينة فاس من بلاد المغرب، بعد الأربعين وستّمائة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، وقدم إلى القاهرة، وقرأ الموطّأ على أبي القاسم عبيد الأسعردي (ت:692هـ)، وحدّث به. وصحب جماعة من الصلحاء وأرباب القلوب وتخلّق بأخلاقهم وتأدّب بآدابهم وأخذ عنهم الطريقة، وصار أحد المشايخ المشهورين بالزهد والخير والصلاح، وصنّف كتابا سمّاه «المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها». وهو من أجلّ الكتب وأكثرها فوائد، وفيه غرائب تفرّد بها لا توجد في غيره. وقرئ عليه هذا الكتاب غير مرّة. وأضرّ في آخر عمره[12] وممن أخذ عنه وتأثر به، ونقل عنه الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله[13].

---

(10) أنشأها الأمير سيف الدين منكوتمر ت(678هـ/ 1279م) نائب السلطنة بديار مصر وعمل بها درسا للمالكية وآخر للحنفية، وجعل فيها خزانة كتب، وأوقف عليها وقفا بالشام، وكانت من المدارس الحسنة. للمزيد الخطط المقريزية، تحقيق أيمن فؤاد، 4/ 552.

(11) مناقب المنوفي ورقة 14.

(12) أحمد بن علي المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ- 2006م)، 7/ 51.

(13) محمد عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ 1984م)، 6/ 367.

3- ركن الدين بن القوبع: العلَّامة الفيلسوف الحَكيم، ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف، القُرشي الجَعفَري، التُّونُسي المالكي (738هـ/ 1338م) تلقى على أكابر علماء تونس ثم قدم مصر سنة 690 هـ/ 1291م، والتقى بكبار رجالها ومشايخها، فتفقه وحدث وبرع في علوم الطب والفلسفة، وكان من أعيان الأطباء في زمانه[14] ذكره ابن فضل الله في مسالكه بقوله:" لم أر له نظيرا في مجموعه وإتقانه، واستحضاره، واطّلاعه، كان مجيدا في الأصول، والحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والنحو، والعروض، وأسماء الرجال، والتاريخ، والشعر، يحفظ للعرب، والمولّدين، والمتأخرين، غاية في الطب والحكمة، ومعرفة الخطوط- خصوصا خطوط المغاربة- قد مهر في ذلك وبرع، وإذا تحدّث الناس في شيء من ذلك كله، تكلّم على دقائقه وغوامضه ونكته، حتى يظنّ سامعه إنما أفنى عمره في ذلك الفن!"[15] وقد أشار الخليل في مخطوطه إلى كون ابن القوبع أحد شيوخ الشيخ عبد الله المنوفي، وقذ ذكر الشيخ عبد الله أن الشيخ ابن القوبع كان يحضه على مطالعة ومذاكرة كتاب الإحياء للغزالي، وغيره من كتب الصلحاء، وأن الشيخ كان متأدبا مع الجميع، والجميع يحترمونه ويعتقدون بركته، ويحفظون كلامه، ويسعدون به[16].

4- شرف الدين الزواوي ت (744هـ1343م): العلامة الفقيه المالكي صاحب التصانيف، البارع في علوم العربية واللغة، عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى شرف الدين الزواوي الفقيه المالكي، إليه انتهت رئاسة المذهب المالكي في مصر، فكان شيخ المالكية بمصر والشام، صنف وكتب وبرع في التأليف والتدريس، وولي العديد من المناصب منها؛ القضاء ونيابة الحكم، ومن مصنفاته؛ شرح مسلم في مجلدات، وكتاب ابن الحاجب

(14) محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الرسالة العلمية، 1440هـ/ 2019م)، 30/ 414

(15) أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الطبعة الأولى، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1423هـ/2002م)، 9/ 275.

(16) ينظر المخطوط ورقة 15.

في الفقه ولم يكمل، وتاريخاً في مجلدات، واختصر كتاب ابن يونس في الفقه. رحمه الله ورضي عنه [17]، وقد ذكر الخليل أنه الشيخ عبد الله تعلم على يديه[18]

5- والعلامة شهاب الدين بن المرحل ت (744هـ/1343م) الشيخ الإمام النحوي المقرئ شهاب الدين بن المرحل الحراني أحد فطاحل النحو واللغة في عصره، له باع طويل في أصول اللغة، يعلم فقهها ودروبها، تخرج عليه خلق كثير، وكان كثير التنقل بين القاهرة ودمشق، في الأصل وراق يبيع الكتب ويشتري، له فيها خبرة طوال، يعيش معها ويعاشرها، ويقلب في صفحاتها، يعرف الغث من الثمين، والفارغ من الرصين، توفى رحمه الله بالقاهرة وبها دفن سنة 744 هـ/ 1343م [19]، وقد ذكره الخليل ضمن شيوخ الشيخ عبد الله[20].

6- الشيخ مجير الدين الأقفهسي وله معه أحوال عجيبة، تدل على العلاقة بين التلميذ والأستاذ والشيخ والمريد، كما ينبغي، حيث يذكر الشيخ رحمه الله، كان الشيخ يعرض كتابا على شيخه الأقفهسي، وحدث أنه اشتهى التين والعنب ولم يكن معه من النقود ما يكفي لشرائهما، فدفع لي درهما وقال اشتري عنبا وتينا، فظننت أن للشيخ بهما رغبة وحاجة، يقول: فاشتريت التين والعنب، فقال الشيخ للشيخ عبد الله لا أكتب لك شيئا حتى تأكله كله! فأكلته لما أصر علي، وحصل لي الشبع التام، وكلما مررت بعنب أو تين تذكرت الشيخ ودعوت له[21]!

قلت: وهذا مقام عال، وكشف عجيب، وسر من أسرار الولاة لا يعلمه إلا الأصفياء الأتقياء، وسلامة صدر، وقوة دين وعقيدة، ومروءة ونخوة، قلما نجدها في زماننا، ولعل هذا كله ترك عظيم الأثر في شخصية الشيخ رحمه الله ورضي عنه.

---

(17) ينظر: خليل بن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: علي أبو زيد، الطبعة الأولى، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1418 هـ - 1998م)، 3/ 723.

(18) ينظر: المخطوط ورقه 15.

(19) ينظر: أعيان العصر، 3/ 165.

(20) المخطوط ورقة رقم 15.

(21) مناقب المنوفي، ورقة 15.

رجل من زمن الصحابة: نعم كان شيخنا رحمه الله من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، فقد جمع بين الزهد والورع، مع القوة في الدين والمعتقد، يذكر تلميذه عنه، أنه كان جميل المعشر، حسن العبارة، لطيف المحيا، باسم الثغر، يتخلق بأخلاق النبوة، يحسن الجميع الثناء عليه لجميل صفاته، وطيب كلامه، وبذل معروفه، وعموم نفعه، كان متواضعا مع الجميع، والجميع يعتقدون بركته، ويسعدون بصحبته، متخففا في المأكل والمشرب، يرى أن النعيم في كسرة خبز، وورقة فجل وحبيبات حمص! كان حجة في العلوم والفنون، في التفسير والحديث وعلم الكلام، يحفظ تفسير الواحدي، ويشرحه على أجمل وجه، ويحفظ المدخل لابن الحاج، ويشرحه بسلاسة ويسر، كأنما الماء ينسال من بين أصابعه، زاهد متورعا متصوفا، يجمع بين الفقه والحديث والتفسير والأصول والعربية، ويدرس الجميع في أوقات مخصوصة في المدرسة الصالحية وغيرها، ويرى أن الفقه هو الأهم، وقد جمع بين حسن الخط وجمال الإلقاء فكان لا يبارى في ذلك، قوة وفصاحة، وشعرا ونثرا، متمكنا من العلوم والفنون، عارفا بالأصول والفروع، جامعا بين التفسير والحديث واللغة والفقه، يقسم ليله كله ما بين العبادة والتلاوة والمذاكرة، حتى لا يبقى من الليل إلا ثلثه، عملا بقول الله جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾[المزمل: 20].

ثم لما كبر كان يشغل ليله كله لله، ثم يأخذ قسطا من الراحة، ويشتغل حتى الثالثة عصرا بالتدريس في المدرسة الصالحية، ثم يذهب لبيته يأكل بعض لقيمات يقمن صلبه، ويمضي في حوائج الناس ما استطاع لذلك سبيلا، يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**...»[22] فكان رحمه الله لا يحتجب عن كبير أو صغير، أمير كان أو خفير، الجميع عنده سواسيه، يعلم مقامات الناس، ولكنها يهش للجميع، ويتقبل منهم، ويسمع لهم، يدخلون عليه يطلبون الدعاء، ويتبركون به، كما كان يفعل الناس بأكابر الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، يستوي عنده المدح والذم، لا يؤثر فيه مدح المادح، ولا ذم القادح، قلبه

(22) سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الحرمين، 1415 هـ - 1995م)، 6/ 139 (6026).

معلق بالذكر، مشغول بالخالق، منقطع عن العباد برب العباد، ربما كانت عينه مع طلابه، وقلبه وبصره في واد أخر[23].

طرف من زهده وورعه: قال عنه ابن فضل الله: "جمع بين العلم والصلاح، وطلع نيره المشرق فلاح، فارقت مصر وهو قطب رحاها، وشمس ضحاها، وهو ممن تفقه واعتزل"[24] فقد كان رحمه الله مثالا عمليا لما ينبغي أن يكون عليه العالم العامل، زاهدا ورعا، عفيفا، يحترز عن اللقمة، ويسأل عن مصدرها يتقي الشبهات، في أقل القليل، وكان لا يأكل من غزل زوجه مع علمه بخيرها، ويأكل من غزل أخته لعلمه بحالها! ولعله كف عن ذلك لأن الزوجة تلزم نفقتها من زوجها، كما أنه كان يأكل فضل أهله، ويلبس الخشن والغليظ من الثوب، وكانت فلسفته ونظرته للدنيا هي نظرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يرى أن الدنيا ما هي إلا ميتة، لا يقتات منها إلا الضروري اللازم وحسب، وأنه بزهده وقنوعه بالقليل منها، يشارك الجوعى والعطشى في آلامهم، ويحس بهم وبأوجاعهم!،

وهو هنا في تلك النظرة للدنيا يمتثل حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: « أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ.»[25] فكان الشيخ زاهدا في المناصب والجوامك والرواتب، والاجتماع بأهل الإمارة والوزارة، بل ربما طلبوه وبذلوا في ذلك كل طريق فلم يصلوا إليه[26]!

ولعل ما يؤسف له: أن الشيخ آثر أن يكتب أو يصنف في الفقه أو الفتاوى فكان مقلا جدا في هذا الباب مع غزارة علمه، وكثرة اشتغاله، بل إن القضاة وكبار الفقهاء

(23) مناقب المنوفي من ورقة 15- 17 بتصرف.

(24) ابن فضل الله، مسالك الأبصار، 8/ 400.

(25) أخرجه مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374 هـ - 1955م)، 4/ 2272 (٢٩٥٧).

(26) مناقب المنوفي ورقة 21.

والدعاة والعلماء كانوا يرجعون له، ومع هذا يكف عن الفتوى، ويفر منها، خوفا أن يلتبس عليه أمر، أو أن يقول بما يخالف الصحيح! وإن المرء ليعجب أشد العجب من تلك القمم الشامخة، التي تتحرز من الفتوى برغم غزارة علمها، خوفا وورعا، وهو يرى الأقزام، احداث الأسنان، يجترءون على الفتيا، ويتجرؤون على مقام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: علومه وفضله

المطلب الأول علومه

بوب تلميذه الخليل بابًا في علومه وفضله: وجاء فيه: كان رحمه الله يتكلم في علوم العارفين، بل لعله كان شمس ضحاها، وقطب رحاها، وكان رحمه الله يقرأ عليه رسالة الإمام القشيري (ت:465هـ) وشرحها للإمام العالم أبي محمد عبد المعطي السكندري (ت:638هـ) ويتكلم عليه بأحسن كلام، وتفسير القرآن العظيم للواحدي (ت:468هـ) والشفا للقاضي عياض (ت:544هـ) وكتاب المدخل لأبي عبد الله بن الحاج، وقمع الحرص بالزهد والقناعة للقرطبي (ت:671هـ) ونحو ذلك، يبتدأ في الكتاب بعد الفراغ من غيره، يقرئ ذلك في يومي الجمعة والثلاثاء بعد صلاة العصر، بالمدرسة الصالحية، كما كان يقرأ ويشرح الموطأ وكتب الصحاح، وكان يدرس لأولاد أخته العربية والأصول، كما كان أكثر اشتغاله بالفقه ويرى أنه الأنفع، يشتغل بالدرس والمطالعة ثلث الليل الأخير، ثم لما تقدم به العمر صار يشتغل الليل كله، ومن الصباح وحتى الثالثة عصرا يراجع دروسه التي سيمليها لطلابه، ثم يبدأ دروسه من الثالثة عصرًا وحتى الغروب، ثم يذهب لمنزله يتلو كتاب الله وهو في طريقه، ثم تخرج عليه الناس من الأزقة فيقرون عليه حتى العشاء، ثم يدخل المكان الذي فيه الجماعة فيصلي ويأكل معهم لقيمات، ثم يشغل وقته في الليل بالعبادة على النحو المشار إليه سلفا، وكان يصوم الدهر كله إلا الأيام المنهي عن صيامها، كما أنه يقيم الليل بالقرآن وله ختمات أكثر ممن هو متفرغ لكتاب الله!

وكان جُلُّ حاله يتحدث مع طلابه بلسانه وقلبه وفكره متعلق بالملكوت![27] ومما ذكره تلميذه الخليل عنه في مخطوطه، أنه كان يحصل له النعاس بين الجماعة، وهو يقرأ المسألة فيقرأها قراءة صحيحة!! ويقول خليل: رأيته رضي الله عنه بعد موته، وتكلمت معه في مسألة فذكر غير ما قلت، فانتبهت فوجدت الصحيح ما قاله! وكان مع كثرة اشتغاله لا يحجب كبيرا أو صغيرا عن بابه، بل يدخل عليه القضاة، والفقهاء والناس للسلام وطلب الدعاء والبركة، ويقرأ الكتب المعقدة بلا مطالعة، ويفتح له بما لا يفتح على

(27) المخطوط ورقة 16.

غيره لكثير النور الذي عنده، وكان يرى أثر النور على محياه وساعديه، ومع هذا العلم العظيم، والفضل العميم، لا يدعي دعوى بل يعترف بالتقصير، ولا يرى نفسه أهلا للأبرار، ويقول: إنما جلست اصحح للمبتدئين!، ويقول للطلاب: إنما نحن إخوان، نتذاكر العلم، وأي منا أظهر الله الحق علي لسانه قبلناه![28] وكان رحمه الله ممن أستوى عنده الأمير والوزير والفقير، والمدح والذم، بل ربما كان الفقير عنده أعظم وأقرب، وبالجملة فكان حاله من الزهد والتصوف السني الوسطي مضربا للأمثال، لكونه قليل المأكل، كثير العبادة، مخالطا للناس بظاهره، مجانبا لهم في ما هم فيه،. ولعله يمتثل قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[29]. نافعا لهم ويتابع تلميذه الخليل عن ترجمته فيقول عن إحدى كرامات الشيخ، أن رجلا قبل وفاة الشيخ بقليل جاء للمدرسة الصالحية حيث يدرس الشيخ، وسأل عن رأس المالكية، فدلوه على الشيخ عبد الله، فسلم عليه وقال: لقد رأيت في منامي قائلا: يقول لي: من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليسلم على الشيخ عبد الله المنوفي[30]!

المطلب الثاني: ورعه وزهده:

كما بوب الخليل بابا بعنوان (ورعه وزهده وصبره وحلمه) وهو الباب الثالث في المخطوط، وقد قسمه إلى فصول خمسة، بدأها بورعه، وقال: كان رحمه الله ورعا، متعففا عن المحرمات والمتشابهات، في الأفعال، والأقوال، والمأكل والمشرب، والملبس، لدرجة أنه كان لا يكتسي من غزل زوجته مع خيرها وفضلها! ويكتسي من أخته[31].

قلت: ولعل هذا يعود لفقه وفهم عند مولانا المنوفي لأن الزوجة ممن تلزم نفقتها، فكان يكتسي من غزل اخته لأمرين الأول أنه يعطيها الأجرة على هذا لعلمه بضيق حالها،

(28) المخطوط رقم 17.

(29) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط؛ عادل مرشد – وآخرون، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة،1421 هـ - 2001 م)، 9/ 64 (5022).

(30) مخطوط المنوفي، ورقة 18.

(31) المخطوط رقم 18.

فيعينها على معيشتها دون أن يجرح خاطرها، الثاني لأن الزوجة في الغالب ستمتنع عن أخذ الأجرة، ومن ثم فمن باب التعفف كان يكتسي مما صنعته أخته!

وكان في حاله كما حكى تلميذه يكفيه اليسير، يأكل فضل أهله، ويأكل مما يتحرجون أكله! أو كما قال الخليل: "الذي يعاف الجميع عن أكله" وربما اكتفى ببعض سؤر الآنية ونام على ذلك، أما عن ملبسه فالثوب الغليظ الخشن، وعمامته دون العشرة أذرع، وكان يلبس في الشتاء بين ثيابه فروة لا تعدل أربعة دراهم، وكانت نظرته للدنيا أنها ميتة، لا يتناول منها إلا بحسب الضرورة[32]!

قلت: وهو هنا يمتثل قول وفعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، ...»[33].

وكان الشيخ رحمه الله يصوم كثيرا، حتى أنه ربما أفطر على اليسير جدا، وتسحر كذلك على اليسير، حتى لا يوصل الصيام!، وقد بلغ من حد زهده أنه لا يستنكف أن يأكل نخالة الدقيق، وما يأكله الدجاج[34].

ومع فقره وحاله الذي لا يخفى على أحد لكنه كان زاهد في الرياسة والمناصب والجاه، ومقابلة أرباب الجاه والسلطان، وكان يمتنع عن أخذ الجوامك والرواتب، وفي اخر عمره لجأ إلى زاوية الأمير منكلي بغا[35] مدة شهر بسبب أن اخته وصهره بها، وقد حرص الأمير على أن يجتمع بالشيخ أكثر من مرة، والشيخ يتحرس من ذلك غاية الحرص، ورغم اقامة الأمير بالتربة هو ايضا في تلك المدة بيد أنه لم يتمكن من مقابلة الشيخ! وكذلك كان الأمراء وغيرهم من أبناء الدنيا يسعون في الاجتماع به لنيل البركة فلا يتيسر لهم، وكان يمتنع عن أخذ الأجرة ويقول لأخذ على تعليم العلم شيئا! ومما أخبرنا به تلميذه الخليل في

(32) مخطوط المنوفي ورقة 19.

(33) صحيح مسلم 4/ 2272 (2957).

(34) مخطوط المنوفي، ورقة 20.

(35) الأمير منكلي الدين بغا الفخري (753هـ/ 1352م) كان من أمراء الناصر محمد بن المنصور قلاوون. الصفدي، أعيان العصر، 5/ 454.

مناقبه، أن الشيخ رحمه الله كان عفيفا متخففا من الدنيا بشكل ربما لا يصدقه عقل، ساعيا في حوائج الناس.

يقول تلميذه الخليل: أخبرني القاضي العالم الفاضل تاج الدين المناوي (ت:765هـ) عن سيدنا ومولانا عز الدين بن جماعة (ت:767هـ) أن الشيخ عبد الله دخل عليه يوما في حاجة لبعض الفقراء فقضاها، ثم أرسل القاضي ابن جماعة إلى الشيخ وقال: سيدي أرتب لك شيئا من أوقاف بعض المدارس، فتستعينوا به، فقال للقائل أو الرسول، قل له: (أي للشيخ ابن جماعة) جزاه الله خيرا، ولكن في بيتي ما يكفيني وقد رتبته فجعلت منه شيئا لنفسي وشيئا لأهلي، فحصل الرضا، وأخشى أن لا يحصل الرضا مع هذه الزيادة[36]!!

وكان الشيخ من شدة زهده وعفته يتحرج في التصدر للفتوى مع قوته في العلم والحفظ وملكاته التي كانت لا تباري، ويقول لطلابه إنما نحن إخوان نتدارس العلم سويا!، وأما قميصه وعمامته فهما من البساطة بمكان كما مر، وقد كفن بهما رضي الله عنه، وكان مع شدة علمة لا يتصدر الفتوي، ولا يتنافس في الجلوس علي مقاعد الفقهاء، ويجلس بين يدي بعض المدرسين، وهو أفضل منهم ويفوقهم بشهادة الجميع، ذلك بأن الجميع من القضاة والمدرسين وغيرهم يرجعون لرأيه ويأخذون بقوله، ولا يقطعون أمرا دونه، وفي إحدى المرات كما يحكي تلميذه كان قد وقع غلاء شديد، جاءه جندي مملوكي يستفتيه وقد رأي أن يخرج ثلاثمائة درهما، وهو يسأل أيهما أفضل يعمل بها طعاما ووليمة ويدعو إليها الأجناد والأصحاب، أم يشتري بها خبزا ويوزعه! وقد أفتاه الشيخ بأن توزيع الخبز أفضل! وهي فتوي تناسب حال الزمان والمكان!

وكان يفر من أبناء الدنيا ومقصد تلميذه في الفرار منهم أنه كان يميل دوما لطلاب العلم والزهاد والعباد، أكثر من أصحاب الوجوه والسلطة، ولا يعني هذا قدحا فيهم، وإنما

(36) المخطوط ورقة 21.

شاغل الشيخ رحمه الله العلم وأهله، وتدبر الأخرة وأحوالها، وكان من كلامه كما حكى تلميذه: " ينبغي للإنسان أن يفر من أبناء الدنيا كما يفر من الأسد"![37]

وكان يبتسم في وجه الفقير ويألفه ولعله يتمثل قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللَّه يحب العبد الغني التقي الخفي، ويروى عن زيد الرقاشي عن أنس مرفوعا: طوبى لكل غني تقي، ولكل فقير خفي، يعرفه اللَّه ولا يعرفه الناس[38].

يا مولانا ذكرتك في مجلس ابن البابا[39] فقال له: لا جزاك الله عني خيرا، وعن شيخي العالم موسى شرف الدين المقري الدمياطي (ت:705هـ) أن الملك[40] لما بنى جامعه الذي بالحسينية، يقول فذهبت إلى شيخي وقلت له ال ملك يسلم عليك فأعرض عني وكأنه لم يسمعني، ولما حاولت أهدئ من روعه بقولي إن المذهب يحيي هناك! فقال إن كانت حياته هناك وبيد هذا المكان فقد مات![41].

وقد صدقت نبوءة الشيخ: فقد دثر المكان وزال بالكلية، وقتل الأمير خنقا في محبسه في الإسكندرية، وزال المذهب وظل ذكر الشيخ ومشايخه حتى عصرنا هذا، وكأن الشيخ يريد أن يعلمنا شيخنا ويعلم تلاميذه أن من توكل على غير الله ذل وقل وضل، حتى وإن حسنت النوايا، وإن الاعتماد فقط على الخالق سبحانه!

---

(37) المخطوط ورقة 22.

(38) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المحقق: محمد عثمان الخشت، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1405هـ/ 1985م)، ص334 (458).

(39) جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي، أصله من آمد ببلاد الروم (إحدى المدن التركية الآن) من بيت أمراء، وله عظيم الدور في رد غارات التتار، توفي سنة (746هـ/ 1345م). ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، 75/3.

(40) الأمير سيف الدّين آل ملك الحاج (747هـ/ 1346م) أصله من مماليك الظاهر بيبرس، أما الجامع المذكور في المخطوط فقد بناه في سنة 732هـ/ 1332م، وقد زال بالكلية وأرضه الآن جزء من مقابر باب النصر. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 4/ 247.

(41) المخطوط ورقة 23.

ومن بركات الشيخ التي يرويها عنه تلميذه أن الأمير بكتمر الساقي[42] أحد مماليك الناصر محمد وخواصه، وصهره، مرض فعز ذلك جدا على الناصر وآله، وعجز الأطباء عن كشف ما به من ضر، ففكر أن يرى شيخا كبيرا مجربا، معروفا بين الناس بالصلاح، مشهود له بالفقه والعلم والورع والزهد، فدلوه على مولانا الشيخ عبد الله المنوفي، فأرسل السلطان، وهو الناصر محمد سلطان مصر والشام، وما أدراك ما الناصر محمد، فرفض وآبي! فلما علم السلطان قال للطبيب الوسيط بينهما، قل له: إما أن تأتي أو نأتي نحن إليك!! فشق ذلك عليه لأن الشيخ يعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**أنزلوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[43]، فأشار عليه الوسيط أن يكون بالقرب من باب القلعة وينزل إليه السلطان، وبالفعل نزل السلطان على رغبة الشيخ فلما رآه عانقه، وطلب منه أن يدعو لبكتمر، وأمر له بطبق مملوء بالذهب، ليوزعه على الفقراء، أو يتصرف فيه كيفما شاء، فامتنع ورفض رفضا قاطعا، وقال يا سيدي فرقها أنت، تكون أنفع لمملوكك! وقد نجا بكتمر من وعكته بفترة وجيزة من زيارة الشيخ بفضل الدعاء والبركات![44] وقد ذكر الصفدي أن الأمير بكتمر جاء إليه بعد الشفاء والعافية، وَحمل إِلَيْهِ سبعين ألف دِرْهَم فَامْتنعَ من قبُولهَا وَقَالَ لَهُ مَالِي بهَا حَاجَة فَقَالَ لَهُ ففرقها على من تخْتَار فَقَالَ نعم حَتَّى أنظر فِي ذَلِك إِلَى غَد فَلَمَّا أصبح ردهَا وَقَالَ مَا أعرف أحدا[45].

ويحكي تلميذه عن عزة نفس الشيخ وعلو قدمه، أن الأمير شيخو[46] وكان أكبر أمراء مصر، يقول: قال لي بعض أصحابي: أما تزور؟ قال: قلت من؟ قال: الشيخ عبد

(42) بكتمر الساقي كان من مماليك المظفر بيبرس ثم أنتقل بعد مجيء الناصر محمد من الكرك إليه، فصار من جملة مماليكه وخواصه المقربين، مات سنة (733هـ/ 1333م). ينظر: الصفدي، أعيان العصر، 709/1.

(43) أخرجه مسلم، 1/ 6.

(44) المخطوط ورقة رقم 23.

(45) خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ- 2000م)، 17/ 373.

(46) الأمير سيف الدين شيخو الناصري العمري أحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، المتوفى سنة (758 هـ/ 1357م)، من منشآته التي لا تزال تشهد له مدرسته وخانقته وجامعه بالصليبة. ينظر: المقريزي، الخطط، 4/ 260.

الله المنوفي! قال: أخاف أن يفعل بي كما فعل بطغاي النجمي[47] لما ذهب إليه وقال يا سيدي أنا دوادار[48] السلطان فهل لك حاجه؟ قال نعم! قال: وما هي؟ قال: ألا تجي هنا مرة ثانية!

ثم ذهبت إليه أنا والأمير طاز[49] طالبين من الله عز وجل أن يقبل علينا، فرحب بنا، وأكرمنا، وسألناه، أله حاجة؟ فقال: لا!، وأرسلت إليه فضة ففرقها وأخذ منه شيئا وقال: هذا لناس عندنا ففرحت بذلك غاية الفرح![50]

وقد حكي تلميذه الخليل في مخطوطه يقول: سمعت القاضي الفاضل العالم تقي الدين بن شاس[51] يقول أرسل الفخر كاتب المماليك[52] السلطانية، وكان ذا منزلة عند السلطان وشوكة فضة إلى العبد الفقير إلى الله قاضي المسلمين تقي الدين الإخنائي[53] نفع الله وببركته، فأرسل معي فضة لأفرقها أنا وسيدي الشيخ ففرقناها، ثم أمرني القاضي أن أذهب إليه، وأذكر له ذلك، وقلت له: إن بعضها فرق بحضرة الشيخ عبد الله المنوفي،

(47) الأمير طغاي تمر النجمي (ت:748هـ/ 1347م) الدوادار الكبير، وكان مهيبا عظيما، تقلد في المناصب، وله خانقاة عرفت به فيما بين باب البرقية وقبة النصر. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 16/ 258.

(48).يُعد "الدوادار" منصباً إدارياً رفيعاً في العصر المملوكي، يوازي سكرتير السلطان، وكان يُعنى بعرض العرائض والقصص عليه وتنظيم شؤونه الإدارية ينظر: أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق: محمد شمس الدين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ، 1987م)، 5/ 434.

(49) الأمير الكبير سيف الدين طاز (ت:763هـ/ 1362م) أحد أكابر أمراء الناصر محمد بن المنصور قلاوون، ولي العديد من المناصب. ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 4/ 199.

(50) المخطوط رقم 24.

(51) محمد بن أحمد بن شاس (ت:760هـ/ 1359م)، كان قاضيا ومفتيا ومدرسا على المذهب المالكي كجده وكعادة آل شاس. ينظر: المقريزي، السلوك، 4/ 242.

(52) فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطي (ت:732هـ/ 1332م) ناظر الجيش وأحد أكابر الأمراء في عصره، كان قبطيا فأسلم وحسن إسلامه. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 238.

(53) محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الإخنائي (ت:750هـ/ 1349م) ولد سنة 660 هـ 1262م، كان من أكابر فقهاء المالكية. ينظر: الصفدي، أعيان العصر، 4/ 361.

فقال له: اشتهي أن تأتيني به، ورأيت منه الحرص على ذلك، فقلت للشيخ، فقال: إن شاء الله آتيك في اليوم الفلاني...[54].

المطلب الثالث: حلمه:

بوب الخليل فصلا عن حلمه وكان مما جاء فيه:

أما حلمه فكان من شأنه ألَّا ينتقم لنفسه، ولا ينتصر لها، وكان محتملا الأذى من الأصحاب وغيرهم غير مقابل لهم والراحة وهذا هو أيسر الشأن عند أهل هذه الطريقة، لأنهم يقولون: لا يثبت لمريد قدم حتى يكون فيه ثلاث حمل الأذى وترك الأذى وايجاد الراحة لعباد الله إلى آخر ما ذكره تلميذه الخليل[55].

وهو هنا يتمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، ففي الحديث: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِنَفْسِهِ؛ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ للَّهِ بِهَا»[56].

ومن المواقف الكاشفة المدللة على ذلك ما رواه الشيخ الإمام العالم شرف الدين موسي المقرئ رحمه الله قال: حكى لي صهره الشيخ الصالح عبد الرحمن أنه سافر مع سيدي الشيخ إلى الحجاز الشريف، فلما وصلنا بدرًا رأينا شيخا من أهل البر ومعه ناس وهو يقول: أنتم يا أهل بدر مغفور لكم وإن فعلتم الكبائر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك! وأراد أن يأكل بذلك شيئا من الدنيا، فرآه سيدي الشيخ فقال له: يا سيدي الشيخ لم يرد النبي صلى الله عليه إلا الصحابة (التي) الذين قاتلوا معه ببدر، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لاطلاعه على حسن سرائرهم (سراريهم) وأنهم لا يصدر منهم مكروه، قال فضرب بعض تلامذة الشيخ (يقصد الشيخ الذي حاججه الشيخ عبد الله) سيدي الشيخ عبد الله، فمن ذلك الحين حصل للشيخ وجع في بطنه، والضارب في جنبيه، وأشرفا

(54) المخطوط رقم 25.
(55) المخطوط ورقة 25.
(56) أخرجه البخاري، 4/ 500 (3554).

على الهلاك، ثم لا برح عنهم الألم إلى أن بالغا في طلب سيدي الشيخ واستغفرا له وتابا، فدعا لهما سيدي ووضع يده عليهما فبرآ بإذن الله![57]

فالشيخ هنا رحمه الله لم يستنكف أن يصدع بالحق حتى لو كلفه ذلك حياته، وكان دائما رحمه الله يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم! وقد تحقق فيه قول الحق سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[الأحزاب:39]. ولما كان الله حسيبه، فقد علم أن الله يؤيده لما لا والله جل جلاله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[الحج:38].

موقف آخر يحكيه تلميذه الخليل؛ يقول: أن الشيخ يحدث عن الشيخ الصالح نور الدين المليجي **أنه مر يوما** بسيدي **الشيخ** فوجده جالسًا عند باب استادار[58] ابن أخي بشتاك[59] تعالى قال: وكانت لي **به** بعض معرفة قال: وكان لنهضته يتحدث للأمير بشتاك[60] قال: فقلت لسيدي الشيخ ما جلوسك هنا فقال لي حاجة، فقلت له: فقلها لي، وطلبت منه ذلك، فقال: هذا المرأة معها أولاد وقد حبس هذا زوجها، والقصد أن يفكه وإذا طلب جئت به. فذهبت إليه وقلت: هذا الشيخ عبد الله يقول لك: كيت وكيت، ومصلحتك أن تقضي له ما ذكر، قال: فأخذ في سب الشيخ وشتمه؛ فرجعت إليه ووددت أني لا كنت تكلمت معه بشيء لكوني أسمعته ما يكره فقيل لي: قد فعل

(57) المخطوط ورقة 27.

(58) مركب من لفظين استا دار، وهناك خلاف على أصله فارسي أم عربي، وهو أحد أكابر الأمراء، إليه أمر البيوت السّلطانية كلّها من المطابخ والشّراب وغير ذلك. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 3/ 719.

(59) لم أعثر له على ترجمة، ولا أعلم أن للأمير بشتاك شقيق جاء معه وإنما الثابت تاريخيا أنه جاء منفردا ولعله جاء فيما بعد لكن على كل سكتت المصادر عنه، ولعله كان يقصد الأمير بشتاك نفسه! فقد مات مقتولا مكبلا!

(60) سيف الدّين الناصري، وكان من أمراء الناصر، وهو صاحب القصر الذي لا يزال بشمال القاهرة بشارع المعز، وصاحب الجامع في درب الجماميز ويعرف بمسجد فاضل باشا، وله أحوال يطول ذكرها مات مقتولا، ولعل دعوة الشيخ المنوفي قد أصابته حيث قتل في سنة 742هـ/ 1341م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 10/ 90.

قبل، هذا بالشيخ أعظم من هذا! فذهبت وتركت الشيخ جالسا، وبعد قليل ضرب ذلك الضرب الشديد، واخذ جميع ماله ولم يزل كذلك حتى مات[61]!

وحكي العدل الرضي جعفر وغيره أن والده وكان من الصلحا (الصلحاء) الأخيار، ومن جملة محبي الشيخ، سافر ليأتي لسيدي الشيخ بقمح من شابور كان سيدي الشيخ اشتراه لتأكله الفقراء وكنت مع والدي فأشرفت المركب على الغرق ومالت المركب فقام والدي وقال: يا سيدي عبد الله، ثم جلس ضاحكا وارتفع الغرق وقال رأيت سيدي الشيخ جلس على الجانب المرتفع فاستقامت المركب، ثم لما وصل القمح، وشاله[62] التراسون[63]، سرق بعضهم منه وغمز عليه بعضهم [64] فجاء والدي للشيخ وذكر له ذلك فقال: لهم الشيخ هاتوا القمح الذي اخذتموه، فأنكروا وقالوا: ما اخذنا شيئا!، فتركهم سيدي الشيخ، وبعد قليل جاءوا وقالوا: إنه قد ماتت حميرنا، وطلبوا من والدي أن يستعطف قلب الشيخ، فسكت والدي، ثم جاءوا وقالوا: قد ماتت جميع الحمير!، أو أكثرهم فذكر ذلك للشيخ، فقال: لم لا جاءوا بالقمح أولا[65]؟!

(61) مخطوط مناقب المنوفي ورقة 27.

(62) الشّيل بمعنى الرَّفْع، شال يشيل. وقد توسعوا فأطلقوه على الحفظ: شال فلوسه: أي حفظ دراهمه. أحمد بن إسماعيل تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، المحقق: حسين نصّار، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1422هـ - 2002م)، 4/ 267

(63) هو الذي يحمل البضاعة ويفرغها. ينظر: رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تحقيق وترجمة: محمد سليم النعيمي، سليم الخياط، الطبعة الأولى، (العراق: وزارة الثقافة، 1979-2000م)، 2/ 34.

(64) انتقص منه دون علمه.

(65) المخطوط ورقة 28.

المبحث الثالث
طرف من أخلاقه

المطلب الأول: صبره وتواضعه:

أما عن صبره وتواضعه فقد بوب تلميذه فصلا في ذلك يقول في مطلعه: كان رضي الله عنه من الثابتين في الصبر، وكان يصبر على أذى الأصحاب، ويصبر على الألم الشديد، وكانت به أمراض يكتمها مع كونها تؤلم الألم البالغ، من ذلك أنه كان به قطار البول، وكانت بين كتفية جمرة تعضل[66] عليه ويحصل منها ألم شديد، وكانت توجعه وجعًا شديدًا وهو لا يظهر عليه شيء من ذلك وأكثر الأصحاب لا يعلم بذلك!

ثم يستطرد الخليل فيقول: وحكى لي القاضي الآجل محمد شهاب الدين بن الأعز[67] وفقه الله تعالى لما يرضيه وهو من جملة أصحاب الشيخ ومحبيه قال: انقطع الشيخ مرة فسألت عنه فقيل متضعف؛ فذهبت إليه وسألته عما به فقال: أنا طيب وإنما بي دميمل[68] قال: فعلمت أنه عظيم؛ لكون الشيخ رحمه الله تعالى لا ينقطع إلا لأمر شديد. قال: فقلت يا سيدي الشيخ: ما نأتي لك بمن ينظره فأشار إلى أنه قطار البول، قال: فسكت ثم جئت له بعد ذلك وسألته عن حاله، فاظهر البشر ثم قلت له: علي أن اتي له بمن ينظره فقال رحمه الله تعالى: نعم، فجئت له برجل جيد وأمرته أن ينظر ما بالشيخ، فقال اعطوني شققة فأعطيته قدرة صغيرة فلما طبب الشيخ[69] ثم قال: لما جئت بعد

---

(66) وقد حققه الدكتور طه ريان بأنه تمصل وأظنها تعضل من الألم الشديد العضال.

(67) ولعله يقصد شهَاب الدّين مُحَمَّد بن احْمَد بن تَاج الدّين عبد الْوَهَّاب العلامي ابْن بنت الْأَعَز بِالْقَاهِرَة وَدفن بالقرافة (ت:762هـ/ 1361م). ينظر: محمد بن هجرس بن رافع السلامي، الوفيات، المحقق: صالح مهدي عباس، بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402هـ/ 1982م)، 2/ 240.

(68) والدُّمَّل والدُّمَل – بضَم الدَّال وَالْجمع دَمَاميلٌ وَكلمة دميل غير فصيحة ولعلها من تصحيف الكاتب أو الناسخ. ينظر: علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ 1996م)، 1/ 491.

(69) هذه الكلمة بتصرف من المخطوط لعدم وضوح وطمس ما جاء في تلك اللفظة.

الفراغ وخرجنا من عند الشيخ عجبت لسيدي الشيخ كيف يستقر؟! فإن الذي به غالب الناس لا يقدرون أن يتحملوا بعضه[70]!

وكان يمرض المرض الشديد فلا يتداوى ثقة في الله ولقولة عليه الصلاة والسلام: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[71].

ثم ذكر تواضعه فذكر أنه كان يتواضع للصغير والكبير والشريف والوضيع والرجل والمرأة[72] لا يركب دابة ما دام بمصر والقاهرة وكان يقول: شكر العافية المشي على الأقدام.. وكان يكنس المرحاض بيده ويتكتم في ذلك، وكان يقول: لولا الناس لمليت الأزيار من الصهريج للطلبة[73]

أي لولا خوفي من الرياء أو شبهة أن يقول عني الناس كذا أو الشيخ الزاهد أو ما شابه فقد كان الشيخ يتحرز ويحترس من هذا كل الحرص رحمه الله.

يقول الخليل: وحدثني غير واحد أن الشيخ الصالح محمد الفاسي[74] وهو من جملة أصحاب سيدي الشيخ قال: جاء الشيخ العالم الفاضل علاء الدين القونوي (ت:729هـ/1329م) شيخ خانقاة سعيد السعداء[75] وقصد الشيخ القونوي أن يكون الشيخ المنوفي من جملة المنزلين بالخانقاة كونه مباركا والناس يتبركون به، ولكن رفض الشيخ، والح عليه الشيخ القونوي، والشيخ يصر في الرفض، حتى أن الشيخ أقسم بقوله والله لست صوفيا![76]

(70) المخطوط ورقة 29.
(71)أخرجه البخاري، 5/ 463، (٦٥٤١).
(72) المخطوط ورقة 29.
(73) المخطوط ورقة 29.
(74) ولعله يقصد ابن الحاج وهو أستاذ الشيخ أو غيره!
(75) أول دار للصوفية بمصر، أنشأها صلاح الدين الأيوبي 564هـ/ 1168م، وكان شيخها ينعت بشيخ الشيوخ، ورتب لها صوفية وفقهاء. ينظر: المقريزي، الخطط، 4/ 728.
(76) المخطوط ورقة 29.

ويعلق الشعراني على تلك القضية بقوله: "وإنما امتنع الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله تعالى، شيخ الشيخ خليل المالكي من سكنى الخانقاه، وقال: إن هذه موقوفة على الصوفية وأنا لست بصوفي تواضعه منه، وإلا فقد أجمع الخلق على جلالته وعلمه، وأنه من أكابر أولياء مصر"[77].

المطلب الثاني: فقره مع كرمه:

كما بوب الخليل فصلا بعنوان فقره مع نفقته النفقة الكثيرة: كان مما جاء فيه أقول: كان رضي الله عنه في أخر عمره ليس له معلوم، الدرهم الفرد[78] وكان مع ذلك ينفق ما تعجز عنه الملوك! فكان يطعم في كل ليلة خمسين أو ستين، وفي بعض الليالي أكثر من سبعين، والقمح كل أردب بستين درهم! والناس في غلاء ومع ذلك يفرق وينفق، ويرسل مع جماعة يوزعون في الأزقة، ويشتر القمح الكثير، والخامات والميازر[79] للفقراء وكانت أضحيته سنة موته ثمان بقرات واثني عشرة خروفا غير ما أرسل للفقراء من المذبوح. هذا ولم يكن مشتهرا بزاوية ولا أن عنده فقراء، بل كان يتكتم في حاله ومن جملة تكتمه أنه سكن في أخر أيامه بتربة الأمير منكلي بغا الفخري لأجل أن أخته وصهره كانا بها. وكان يقبل من بعض الناس بعض الشيء ولكن لا يقارب ذلك عشر ما كان ينفقه وكان له بجانبه في المدرسة كوة[80] فكان يخرج منها ما تعجز الملوك عنه... وحكي لي غير واحد، أنه جاور بمكة سنة غلاء فكان يخرج دائما من عمامته فضة كثيرة؛ مرصوصة[81] ملء ما

(77) عبد الوهاب بن أحمد الشَّعْراني، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (المنن الكبرى)، ضبط وعناية أحمد عزو، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار التقوى للنشر والتوزيع، 1425هـ 2004م)، صـ126.

(78) وحدة من وحدات العملة الفضية عند المسلمين. رينهارت، تكملة المعاجم، 8/ 38.

(79) الميازر: جمع مئزر، وهو الإزار.

(80) الفتحة الصغيرة، أو الثقب في حائط ونحوه. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2010 م)، 4/ 1852.

(81) أي أنها أصيلة غير مغشوشة، وربما قصد بالمرصوصة الكثيرة.

بين سبابته وإبهامه ويعطيها لمن يشتري بها خبزا وتمرًا ليفرق على الفقراء[82] وحكى لي الفقيه الصالح أحمد القلعاوي- رحمه الله- أن الشيخ خرج يوما من الخلاء ويده مبلولة فأعطاه ثلاثة دراهم من بين أصابعه.

ثم بوب الخليل بابا يتحدث فيه عن حاله مع طلابه وأهله: فكان مما جاء فيه:

كان رحمه الله تعالى يحتمل أخلاق الطلبة المغاربة والريافة[83] ولا يحصل له الضجر ولا التبرم، ويؤنسهم ويربيهم ويؤدبهم بلطف هذا مع كونه دائم الجلوس معهم، وكان لا يشتغل غالبا إلا بالفقه، ويرى أنه الأهم،... وأنه كان يحصل له من الختمات والعبادة ما لا يحصل للمتفرغ! وأنه كان يجالس الطلاب وغيرهم بظاهره، وقلبه في الملكوت.. وكان متواضعا للكبير والصغير، طلق الوجه يلطف أصحابه ويؤنسهم، ويذكر لكل واحد ما يليق به، بحيث ترى جماعة منهم أن كل واحد منهم هو المقدم عنده! [84]

قلت: وهو هنا يتمثل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" [85] وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[86].

ونفهم مما ذكره تلميذه الخليل ونستخلص أن من آدابه مع طلابه ومع الناس ما يلي:

1- الحض على فعل الخيرات والتأديب والتوجيه والنصح بالتي هي أحسن.

(82) المخطوط ورقة رقم 30.

(83) وربما خص الكاتب أخلاق المغاربة والريافة أو أهل الريف من الطلاب في حداثة السن لما يبدر من بعضهم من بعض المشاكسات نظرا لطبيعة بعض البلدان والبيئة القادمين منها، ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 5/ 126.

(84) المخطوط ورقة 31.

(85) أخرجه مسلم 4/ 2026 (2626).

(86) أخرجه مسلم، 1/ 6.

2- كان دائما ما يردد إن شاء الله والله المستعان عند الهم بأمر أو إذا سئل عن شيء وأراد فعله، وهو يمتثل بقول الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف: 23-24].

3- كان يقول لمن يفارقه أو يغادره أنت في حفظ الله وأمنه وكان يدعو للناس دوما، وحكى البعض أنه كان يدعو لهم بما تحدثهم به أنفسهم وتلك علامة من علامات كراماته رضي الله عنه.

4- كان دائم البشر طلق الوجه في درسه، ودوما ما يدعم الدرس بالأمثال والحكايات والنوادر!

قلت: وهذا من فطنة المعلم وحسن توجيهه وتربيته، وحتى لا يمل السامع، ولأن ضرب المثل والحكايات يرسخ المعلومة في ذهن المستمع.

وكان يأتي بالشعر والملح بما يناسب المقام والحال من ذلك قوله:

يا أيها الراضي بأحكامنا ... لا بد أن تحمد عقبى الرضى
فوض إلينا وابق مستسلمًا ... فالراحة العظمى لمن فوضا
وإن تعلقت بأسبابنا ... فلا تكن عن بابنا معرضا
كان فينا خلقا باقيا من ... كل ما يأتي وما قد مضى
لا ينعم المرء بمحبوبه ... حتى يرى الخيرة فيما قضى [87]

وكان من الشعر الذي يتردد على لسانه في مجالسه العلمية:

أو ليتني نعما أبوح بشكرها ... وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت فإن أمت ... فلتشكرنك أعظمي في قبرها[88]

(87) ينظر هذه الأبيات: حسن بن علي الفيومي، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للمنذري، قدم له: عبد الله بن محمد الغنيمان، تحقيق: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة دار السلام، 1439هـ/ 2018م)، 2/ 268.

(88) الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان تفسير النيسابوري، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م)، 1/ 468.

وهو في تلك الأبيات يدلل على أن الأنس الحقيقي بالله، حتى لو تحدث عنه العزال ولاموه فمن ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

وكان الشيخ لا يخاف في الله لومة لائم بلغه أن شيخا أغلظ لبعض طلابه، فقال له الشيخ يا شيخ أنت رجل عالم، لكن ما أدبك العلم؟! فصار الشيخ يرعد من كلام الشيخ عبد الله ويقول: ردوا عني الشيخ عبد الله لئلا يخرج وقلبه متغير علي[89].

وحكى الخليل كذلك: أن الأمير منكلي بغا الفخري دخل اليه يوما وقال له يا سيدي السلطان قصد أن يمسكنا فهل علينا حرج إذا خرجنا عليه،[90] فأمسك الشيخ بطرف ثوبه وقال: هذا شيء لا أدخل فيه، ولا أتكلم بكلمة، فسكت الأمير ولم يتجرأ أن يتكلم بعدها[91].

يقول الخليل كذلك عن مواقفه: رأيته يوم مات سيدي الشيخ الصالح الزاهد علي بن الشيخ العالم مبارك [92] شيخ آثار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[93] وقد أكب أهل مصر والقاهرة عليه وعلى تقبيل يديه وازدحموا عليه وألجأوه أن كودية [94] وينزل ولم يتغير.

وذكر عن الشيخ أبو عبد الله محمد البباوي المعروف بابن قاضي ببا[95] أنه رأي الشيخ كذلك يوم مات يدي الشيخ الصالح العارف بالله الكبير أبو عبد الله ابن الحاج

(89) المخطوط ورقة رقم 33.

(90) قلت: والثابت في المصادر التاريخية إن منكلي لم يقرر الخروج إلا في سنة (752 هـ/ 1351م). ينظر: المقريزي: السلوك، 4/ 140.

(91) المخطوط ورقة 33.

(92) ولعله يشير إلى الشيخ مبارك صاحب زاوية الحلاوي بالآبارين (صناع الإبر) بالقرب من الجامع الأزهر. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 4/ 810.

(93) يقصد به الرباط المشهور والذي به بعض آثار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، (قرية أثر النبي صلى الله عليه وسلم بمصر القديمة) وسمي الرباط التاجي. ينظر: المقريزي، الخطط، 4/ 802.

(94) ربما قصد بالكودية المكان المرتفع أو الأرض الصلبة.

(95) محمد الإمام تقي الدين المصري المعروف بابن البيائي ابن قاضي ببا (ت:749هـ/ 1348م) تفقه على العماد البلبيسي وابن اللبان وغيرهما. ينظر: العراقي، الذيل، ص 107.

قال: فقلت في نفسي: إن كان الشيخ بلغ رتبة الكمال فهو لا يتغير؛ فلم يتغير، ولذلك كان لا يلتفت لأبناء الدنيا ولم يلفت إليهم ويجري لأبوابهم،... ويقول الرزق الذي لك لا بد لك والذي ليس لك لو ركبت الريح خلفه ما وصلت إليه وقد قيل:

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٍ ... صَمَّاءَ مَلْمُومَةٍ مُلْسٌ نَوَاحِيهَا
رِزْقُ نَفْسٍ بَرَاهَا اللَّهُ لانْفَلَقَتْ ... حَتَّى تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا فِيهَا
أَوْ كَانَ بَيْنَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي الْمَرَاقِي مَرَاقِيهَا
حَتَّى تَنَالَ الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهَا ... فَإِنْ أَتَتْهُ وَإِلا سَوْفَ يَأْتِيهَا[96]

ولا يعيب على الساعي فعله، بل الطرق إلى الله تعالى كثيرة، والناس مختلفون فمنهم على حبل الرضا والتسليم وعدم تعاطي الأسباب، ومنهم من جبل على الشفقة على عباد الله، والسعي لهم، وكل على خير ولكل وجهة هو موليها، بل الولي الواحد قد يختلف حاله لاختلاف الوارد عليه، ولهذا قالت الصوفية: الحال حامل لا محمول يدل لقولهم قصته عليه أفضل الصلاة والسلام في الإسراء لما فرض الله عليه خمسين ورجع إلى موسى وقال له: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف، فرجع فجعلها... وفي رواية استحييت من ربي[97] لأنه لما حمله الحال الأول على الشفقة سأل، ولما حمله الحال الثاني على التفويض سلم...[98]

قلت: وقوله الحال حامل لا محمول من كلام ابن الحاج، ويبرز أثر التأثر التلميذ بالأستاذ[99] وبه قال الصالحي: حيث يقول: وفيه دليل للصوفية حيث يقولون: «إن الحال حامل «لا محمول» لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن ورد عليه حال الإشفاق على أمته بادر إلى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك، ثم لما ورد عليه حال الحياء من

(96) عن تلك الأبيات ينظر: عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، القناعة والتعفف، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1413 هـ - 1993م)، ص53.

(97) أخرجه البخاري، 1/ 434 (354).

(98) المخطوط ورقة رقم 34.

(99) محمد بن محمد ابن الحاج، المدخل، (دار التراث)، 1/ 61.

الله تعالى لم يلتفت لأمته إذا ذاك ولا طلب شيئا»[100] ومعني العبارة أن الحال خلاف المقام، فالحال يتغير بتغير الظروف

ويستطرد الخليل قائلا: ذكر لي بعض أهل الخير أن الطلبة جلسوا يوما بحضرته في التربة (تربة منكلي بغا) يذكرون حال بعض الأمراء، فسكت عنهم الشيخ ثم قال لهم: هؤلاء لا يعرفون حالكم، ويعرفون مكانكم؟! فقالوا: لا، فقال فأذكروا من هو عالم بأحوالكم! فانتبه القوم [101]

قلت وهذا مقام رفيع، وأدب عال، وتربية عملية، ونموذجا للأستاذ المعلم، والناصح القدوة، والشيخ السالك العارف، يعرف معني قول الحق جل جلاله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[البقرة: 152] .

وكان لا يذكر في مجلسه غيبة ولا فسوق ولا ما يقرب منهما، وكان لا يحلف أصلا، ولا يلقب بالألقاب المصطلح عليها بالديار المصرية، مثل شمس الدين وناصر الدين وبدر الدين!

قلت: وهذا من شدة تواضع الشيخ وحسن خلقه وعلو هامته، وانكساره لله، وإلا فلا حرج أبدا في التلقيب بتلك الألقاب خصوصا في موضعها، كلقب شيخ الإسلام، وناصر الدين وشمس الدين، وأسد الله، والأمر يطول، والأدلة عليه والقرائن كثيرة.

وكان لا يقوم لأحد، إلا لبعض العلماء والصلحاء والأخيار الذين يعرف حالهم، وكان يصافح الناس، فإذا قبل المصافح يده لم يمنعه، وهذا لأن الناس يكثرون عليه، ويعلم أن قصدهم ذلك (أي تقبيل يديه) وأنه لو لم يمكنهم لنازعوه فيتأذى بذلك[102].

لطيفة قلت: وقال مشايخنا من السلف والخلف رضوان الله عليهم لا بأس بتقبيل يد العلماء والصلحاء والأخيار رضوان الله عليهم بل هو مستحب وأما الكلام في تقبيل اليد،

---

(100) محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414 هـ - 1993م)، 3/ 149.

(101) المخطوط ورقة 35.

(102) المخطوط ورقة رقم 35.

فإن (قدم) يد نفسه لغيره فهو مكروه؛ لأن ذلك من فعل الفساق، وإن قبل يد غيره، أو قبل يد عالم أو سلطان عادل لعلمه وعدله لا بأس به، هكذا ذكر في «فتاوى أهل سمرقند»، وقد صح أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ بركاب زيد بن ثابت ﷺ، فقال زيد: مهلاً يا ابن عم رسول الله، فقال عبد الله: هكذا كنا نصنع بعلمائنا من أكابر أصحاب رسول الله، فلما استوى زيد بن ثابت على بغلته، فقال لابن عباس: ناولني يدك فناوله، فقبل زيد يده، وقال: هكذا نصنع بأهل بيت رسول الله ﷺ، فهذا يدلك على أنه لا بأس بتقبيل يد غيره لعلمه أو شرفه، وقد حكي عن سفيان أنه سمى تقبيل يد العالم، والسلطان العادل سنة، فقال له عبد الله بن المبارك: ومن يحسن هذا غيرك[103] وبه أفتى الإمام النووي رحمه الله وقال مستحب تقبيل يد العلماء[104]. وكان من دعائه ﷺ اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمدﷺ، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجْبُرْ أمة محمد ونقل عن العباس المرسي رحمه الله ورضي عنه أنه دعاء الخضر عليه السلام[105].

وما كان يتزوج رحمه الله إلا من كان له فيها مقصدا جميلا، وقد تزوج ثلاثة نسوة، كل واحدة بعد موت الأخرى، الأولى أما الأولى فكانت متجالة نوبية[106] لا ترضى غالبا للخدمة فضلا عن الزوجية فسئل عن ذلك، فقال: لأنها خدمت والدتي فأحببت أن أكافئها، أما الثانية كانت شابة جميلة، لها قماش[107] ولكن سيدي الشيخ لم يعلم

(103) محمود بن أحمد ابن مَازَةَ البخاري، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2004م)، 5/ 396.

(104) يحيى بن شرف النووي، فَتاوَى الإمامِ النَّوَوِي المسمَّاةِ: بالمسَائِل المنْثورَةِ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلَاء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار، الطبعة السادسة، (بيروت: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، 1417 هـ - 1996م)، صـ71.

(105) ينظر: عبد الله بن أسعد اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين المسمى نُزْهَةُ الْعُيُوْنِ النَّوَاظِرِ وَتُحْفَةُ الْمُلُوْبِ الْخَوَاطِرِ فِيْ حِكَايَاتِ الصَّالِحِيْنَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَكَابِرِ، (القاهرة: مكتبة زهران)، ص343.

(106) أي كبيرة السن التي لا يرغب الرجال في نكاحها فتبرز لهم، والنوبية تعني أنها سمراء. ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مجموعة من المحققين، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار صادر، 1414 هـ/ 1993م)، 11/ 116.

(107) ولعله يقصد المتاع والأثاث ولم يكن الشيخ يعلم به!

بقماشها، بل قيل له ضد ذلك وكان يذهب إليها كل يوم بآخر القرافة، ولما ماتت سأله أهلها أن يأخذ نصيبه من إرثها فلم يأخذ الدرهم الواحد! والثالثة: كانت زوجة الشيخ الصالح عبد النور هي التي رزق الشيخ منها الأولاد وهم محمد وهو الكبير ثم إبراهيم ثم رقية وكان معها من الشيخ عبد النور ولدان كبيران ذكر وأنثى فلما قيل له: إنه لا يحصل له الراحة معهما فقال: أنا تزوجتها لأجل الولدين! (108)

وكان رحمه الله محتملا للأذى في عرضه ونفسه وإن تأثر أحد من أهله أرشده لترك ذلك وإلى الخدمة والأدب!

قلت: وكأني به وقد تمثل قول الصحابي الجليل علبة بن زيد أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَثَّ يوْمًا عَلَى الصَّدَقَةِ، فقَامَ عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، فقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا عِرْضِي، فَإِنِّي أُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، ثُمَّ جَلَسَ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَيْنَ عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ؟**»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا قَالَ: فَقَامَ عُلْبَةُ فَقَالَ: «أَنْتَ الْمُتَصَدِّقُ بِعِرَضِكَ، قَدْ قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ»(109).

وكانت أخته من النساء الصالحات الخادمات للفقراء وطلبة العلم، وحكى لي ولدها محمد وغيره، أنها قالت لسيدي الشيخ يوما تقول: رأيت كأني مت، وأدخلت قبري ورأيت مثل العينين يخرجان بواخا فنظرت فوجدت القدرة وتفال العجين فسددتهما فذهب ذلك عني. فقال لها سيدي الشيخ: التزمي القيام بالطبخ للفقراء والعجن لهم فإن ذلك قد رأيته سببًا لنجاتك(110).

ومما يؤكد سلامة صدره وعدم اكتراثه بكلام الناس، ما يرويه تلميذه الخليل، أن اخته، بلغها أنهم يقولون: إن الشيخ يعمل الكيمياء(111) فشق ذلك على اخته وحكت له، أنهم

(108) المخطوط ورقة 36.

(109) أحمد بن عمرو البزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1988 -2009 م)، 8/ 315.

(110) المخطوط ورقة 36.

(111) ولعله يقصد بالكيمياء السحر، أو أعمال الدجل وما شابه، أما الكيمياء بمعناها الحالي فلا إشكال فيه. ينظر: أحمد بن إدريس القرافي، الفروق المسمى أنوار البروق في أنواء الفروق، (عالم الكتب، د.ط)، 4/ 194.

يقولون إنها يعملها ويعاونه زوجها وولده! فقال نعم: نحن نعمل الكيمياء، والكيمياء الحقيقية هي تقوي الله[112]!

قلت: والشيخ هاهنا يربط على قلب اخته ويجبر خاطرها، بكلام لين، ويصرفها عن كلام الناس، ويذكرها بأن رضا الخالق أهم من كلام الخلق، ويتمثل قول الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترْضى والأنام غضاب

وليت الَّذِي بيني وَبَيْنك عَامر ... وبيني وَبَين الْعَالمين خراب

إِذا صَحَّ مِنْك الود فَالْكل هَين ... وكل الَّذِي فَوق التُّرَاب ترَاب[113]

وكان إذا بلغه شيء عن أحد من الفقراء (فقراء الصوفية) يكرهه، كسوء خلق أو ما شابه يتحقق من ذلك، فإن تثبت من ذلك أخرجه (أي من الخانقاة أو المدرسة)[114].

(112) المخطوط ورقة 37.

(113) عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م)، 1/ 95.

(114) المخطوط ورقة 37.

المبحث الرابع

أحواله

المطلب الأول: مكاشفاته:

وقد بوب الخليل بابا عن مكاشفاته[115] **جاء فيه:** فمن ذلك إني كنت في حالة الصغر قرأت سيرة البطال[116] ولم يطلع على ذلك أحد من الطلبة فقال لي الشيخ يا خليل من أعظم الآفات السهر في الخرافات قال: فعلمت أن الشيخ علم بحالي وانتهيت من ذلك في الحين! ومن ذلك لما قرأت عليه ابن الحاجب، ولم يتبق علي منه إلا الفرائض، فطلب والدي مني أن أسافر إلى الريف، وكان السفر علي ثقيلا، فذهبت لسيدي الشيخ، فقال لي: أطع والدك، فحينئذ انشرحت للذهاب، ثم كان عندنا شيء متيسر فقلنا نعمله شيئا للطلبة قبل أن أروح؛ فذهبت له وقلت له: يا سيدي القصد أن تكونوا غدا عندنا فقال: الطلبة يروحون وأما أنا فلا. فطلبت منه ذلك فأبى؛ فجئت لوالدي وقلت له ما ذكره الشيخ، فقال: لو قلت له: عني لأتى، ولكن اذهب أنت لأخي الفقيه الأجل إبراهيم[117] فقل له عني، فذهب فهو في نصف الطريق وإذ به آت، فقال له: يا سيدي كنت آت إليك، فقال له (أي الشيخ عبد الله) علمت ولذلك جئت، فجاءوا ودخل على الوالد وسلم عليه، ثم قال له والدي: يا سيدي ما تكون غدا عندنا؟ فأظهر الامتناع فقال الوالد: لا نشق عليك، إن أتيت أتيت، وإلا فلا ثم عملنا للطلبة شيئا فحرض الشيخ

---

(115) الكشف بالحدس والإلهام، على الأشياء المخفية، وقيل عن المكاشفة: علم الباطن وذلك غاية العلوم. محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د. ت) 1/ 19215.

(116) أبو يحيى عبد الله بن البطال، أحد أبطال المسلمين الشجعان، كان شجاعًا مقدامًا جوادًا، استشهد في أرض الروم واختلف في تاريخ وفاته لكن الثابت أنه بعد المائة الأولى من الهجرة. ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، المحقق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، (بيروت، دمشق: مؤسسة الرسالة- دار القلم، 1397)، ص345.

(117) ولعله يقصد إبراهيم بن لاجين بن عبد الله (ت: 749هـ/ 1348م) الإمام العالم الفاضل البليغ برهان النحوي الأصولي، الفقيه والخطيب البارع. ينظر: الصفدي، أعيان العصر، 1/ 137.

الجماعة على الإتيان حتى ذكر للفقيه الصالح نور الدين السخاوي[118] أنه قصد التأخير؛ فقال له الشيخ: هذا الرجل يحب الإتيان إليه. ثم سبق سيدي الشيخ الجماعة وأكل قبلهم وبعدهم ورأيت منه انشراحا فقال الوالد: – رحمه الله تعالى– إنما قصد الشيخ أن يظهر عدم المجيء أولا خيفة من التكلف، وكان الوالد رحمه الله من الأولياء الأخيار، ويحب جماعة من الأخيار مثل: سيدي الشيخ الصالح العارف بالله أبي عبد الله بن الحاج...[119]

ومن مكاشفات الشيخ أنه أحس بوقت خروج روح صهره عبد الرحمن وكان بين طلابه فقال وقت خروج الروح لا إله إلا الله! وقد علم بذلك ايضا والد الشيخ خليل قبل أن يعلم به أحد، وقال لولده عزي الشيخ في صهره عبد الرحمن.

ومن مكاشفات الشيخ التي رواها الخليل: يقول ومن مكاشفاته ما أخبرني به العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي المسلمين محمد تاج الدين المالكي[120] الناظر في الحكم[121] (عزيز) بمصر والقاهرة وكان عمه حينئذ هو القاضي (يقصد تقي الدين الإخنائي) وبه ضعف، وقد قصد تاج الدين السفر إلى مكة زادها الله شرفا، فأرسل إليه يستشيره وعرض له بأمر المنصب (أي عرضه على الشيخ عبد الله) فقال: المنصب له، ويذهب ويجيء ويجد عمه، فكان كذلك.

---

(118) نور الدين السخاوي: أبو الحسن علي بن عبد النصير بن علي السخاوي المالكي، قاضي قضاة الديار المصرية، توفي سنة (756هـ – 1355م). ينظر: العراقي: الذيل/ 187.

(119) المخطوط ورقة 38، وينظر خليل بن إسحاق: مناقب المنوفي، تحقيق طه ريان/ 111.

(120) محمد بن محمد بن أبي بكر ت (763هـ/ 1362م) قاضي القضاة تاج الدين المالكي بالديار المصرية، كان من بيت كلهم قضاه، وكان من الراسخين المجتهدين ومن كبار قضاة المالكية ومشايخها. الصفدي، أعيان العصر، 5/ 129.

(121) ناظر الحكم العزيز أي القائم على أمر الأوقاف وغيرها. ينظر: علي بن عبد الكافي السبكي، فتاوى السبكي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، 2/ 154.

وكذلك أخبرني أن المقر[122] الأشرف شيخو قصد أن يجتمع بالشيخ فعلمت ذلك فأرسلت له وقلت له: ينبغي أن يوصيه إذا اجتمع به، فقال ما يحتاج، والتولية قد حصلت فكان كذلك.

ومن مكاشفاته كذلك: ما حدث به الفقيه الصالح أحمد الشهير بابن دره وكان عجانا بمنوف، فجاء لسيدي الشيخ وقرأ عليه واشتغل ثم واظبه في التربة، وكان سيدي الشيخ يمد للفقراء سماطا[123]، قال: فقلت في نفسي لعلي أذهب إلى القاهرة، وأعمل بيدي واشتري وأعمل بذلك حلاوة ونحوها، ولا أعلم الشيخ، قال فلما عزمت على ذلك، وقصدت الذهاب في الغد، قال لي سيدي الشيخ تلك الليلة، يا أحمد ما تقرأ درسك؟ قلت نعم! فقال اصبر حتى أحكي هذه الحكاية، وذلك أنه كان بعض الطلبة جاء لبعض المشايخ فكان إنما يطعمه مع الفقراء والطلبة فأحب أن يذهب وقعد ليأكل بعض الشهوات، فذهب فعمل في بعض المواضع فاتفق أنه عمل في طاحون وأمسى عليه الليل، فلم يجد فيها إلا الدواب وشيخا نصرانيا، فأنكر ذلك الطالب، وقال ما هذا الحال؟ تبدل شيخي لهذا النصراني، وتبدل إخواني الطلبة والفقراء بهذه الدواب! فتاب ولم يعمل قال يا سيدي أنا تبت أو كما قال! [124]

قلت: والشاهد من تلك الحكاية أن الشيخ أراد أن يوجهه لطلب العلم، ورأي فيه ما يوجهه لهذا، وإلا فلا مشكلة أن يعمل الإنسان ويجتهد في طلب الرزق، ولكن الشيخ توسم فيه أنه للعلم ولطلبه أقرب ومن ثم اعتبر أن الانشغال بالدنيا وحسب عن العلم

(122) «المقرّ الأشرف» و«المقرّ الشريف العالي» و«المقرّ الكريم العالي» و«المقرّ العالي» مجرّدا عن ذلك. وأصله في اللغة لموضع الاستقرار، والمراد الموضع الذي يستقرّ فيه صاحب ذلك اللقب، وهو من ألقاب التشريف والفخامة، ومعناه أن الشرف والسمو والرفعة وغيرها من الصفات السامية والخصال العالية قد استقرت لحامل هذا اللقب. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 5/ 464.

(123) السماط: الأسمطة ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين وسماه القلقشندي الخوان وأفرد له مبحثا خاصا. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 57.

(124) المخطوط ورقة 39.

لطالب العلم ذنب ومعصية تستوجب التوبة! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ، وَطَالِبُ الدُّنْيَا، وَهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، أَمَّا طَالِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضًا مِنَ الرَّحْمَنِ، وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزْدَادُ فِي الطُّغْيَانِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: 28]، وَقَرَأَ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[العلق: 6-7][125].

وذكر أن الشيخ الصالح ابن مجيز قال بت ليلة، وليس معي شيء أتعشى به أنا أو عيالي فأنا مفكر فيما أفعل، وإذ بسيدي الشيخ جاء إلى وألقى إلي شيء اكتفيت به!

ويحدث الخليل أن بعض الفقراء حدثه، قال قيل لي: إن الشيخ في المكان الفلاني، فقلت أذهب إليه وأساله قميصا، قال: فذهبت إليه، فبمجرد ما اقتربت منه قال لي: تعال خذ القميص!

وحدث الخليل عن الشيخ الصالح عبد الله الصنهاجي[126] وهو من جملة أصحاب سيدي الشيخ الكبار، قال قال لي مبارك الأخلاطي وهو من جملة أهل الخير المحبين للفقراء: قصدت أن أعمل للشيخ دلقا[127] ففصله وعمله وقال له: خذه ووديه[128] لسيدي الشيخ، وقل له: إني وقفته عليه، وكان قصده بذلك بقاؤه على سيدي الشيخ،

(125) أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار ابن كثير، 1421 هـ - 2000م)، ص427.

(126) عبد الله بن علي بن عمر بن شبل الصنهاجي (ت: 724هـ/ 1324م)، كان عارفا لشيوخه، وسماعا به، ذاكرا لها محبا لأهل الحديث. ينظر: أحمد بن علي ابن حجر، معجم الشيخة مريم، ست القضاة مريم بنت عبد الرحمن بن أحمد الأذرعية (ت 797 م)، المحقق: محمد عثمان، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبه الثقافة الدينية،1431هـ - 2010م) ص129.

(127) والدلق في اللغة معناه خُرُوْجُ شَيْءٍ عن مخرجِهِ سَرِيعاً كدُلُوْقِ السَّيْفِ من غِمْدِه. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 44.

(128) ودى يودي لفظ من الدية ومعناه أعطى الدية وفي الحديث فوداه أي دفع ديته. صحيح مسلم، 3/ 1292، رقم الحديث 1669؛ ابن منظور: لسان العرب 15/ 383.

قال: فجئت إليه وقلت: إن فلانا يحبك، ويقول لك: أنت تعرفه وتعرف حاله، وقصده أن تأخذ منه هذا، ولم أقل له أنه وقف.

قال: فقال لي: رده إليه ما يفعل أحد مثل هذا ويوقفه! قال: فرددته إليه وقلت: يقول سيدي الشيخ كذا وكذا، قال: فقال لي: رده إليه وقل له يفعل فيه ما شاء وهو له ملك، قال فجئت الشيخ فلم يسألني بل أخذه مني!

وما حكاه كذلك الخليل: أن الخلاطي المذكور، حدث الشيخ خليل، أن الشيخ عبد الله قال له ذات يوم اذهب إلى الركن المخلق[129] ستجد فلانا قل له إن الثلاثمائة التي راحت منك ما يصيبها شيء! قال: فذهبت فوجدت الرجل واقفا حائرا، فسلمت عليه ثم قلت له له مقالة سيدي الشيخ ففرح فنحن كذلك وإذا برجل جاء إليه وسلم عليه ثم قال له ما وقوفك ههنا؟ فقال له: كيت وكيت، وذكر له أمره فقال: تعال فذهب معه وأعطاه فضته بعينها. قال فلما رأيته بعد ذلك سألته عن كيفية ذلك فقال: إن الذي سلم على بواب فذهب بي إلى زقاق ثم دق بابا وقال لهم من كان منكم في الركن المخلق فقالوا: فلان، فقال: يعطى هذا فضته فإنه رجل صالح فأخرجوها لي بعينها![130].

وذكر الخليل أن الشيخ الصالح علي نور الدين الدميري[131] قال: ذهبت مرة للشيخ وداخلي (معي) قراقيش ورغيف طري، ولم أُعلم بذلك أحد، فقال – رحمه الله تعالى- كل القراقيش وتصدق بالرغيف قال: وكان ذلك قصدي.

(129) ذكره المقريزي بقوله: موضعه الآن تجاه حوض الجامع الأقمر، على يمنة من أراد الدّخول إلى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى. وقيل له: الرّكن المخلّق. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 2/ 345.

(130) المخطوط ورقة 40- 41.

(131) ترجمه الشيخ أحمد طه ريان بعلي بن يوسف بن مكي بن عبد الله الدميري ثم المصري نور الدين ابن الجلال، اشتغل بفقه المالكية، وتوفي 803 هـ/ 1401م، ولا أظنه هو، ذلك أن بين وفاة الشيخ المنوفي وبين الدميري هذا الذي ذكره الشيخ ريان- رحمه الله- أكثر من خمسين سنة! ولعله هو الشيخ الصالح نور الدين علي الدميري ت 768هـ/ 1367م. ينظر: المقريزي، السلوك، 4/ 309.

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ الصالح الفاضل سليمان المقري قال: مرضت مرضة شديدة أشرفت فيها على الموت وكنت أغيب في أكثر الأوقات وأقول لهم: إذا أفقت قولوا للشيخ عبد الله يأتي إلي فإنه ما يأبى هذا؛ قال: ولم يكن عندي من يعرفه فأنا كذلك وإذا به قد جاء فدعا لي وأنصرف فسألت هل ذهب إليه أحد! قالوا لا ولا نعرف له مكانا.

ومن ذلك ما أخبر به الشيخ الصالح نور الدين المليجي يقول: مرضت مرة بالمنصورية[132] جاء إلي سيدي الشيخ وكنت أياما لم أستطع بشراب ولا بطعام فذكرت ذلك له فقال لي تأكل قال: فو الله لم يخرج الشيخ من المنصورية حتى أكلت وشربت[133].

وحدث العدل المرتضى جمال الدين الفيشي[134] قال: كنت بالقاهرة أقصد الاشتغال، فقيل لي ماتت والدتك، فحصل لي على ذلك وجد، وخرجت علي وجهي فلما وصلت إلى قنطرة الحاجب عدت على نفسي بالملامة، وقلت: كيف تسافر من غير أن تشاور الشيخ، فرجعت له وذكرت له ذلك، فقال لي: أجلس لأن الحركة اليوم ثقيلة وامك ماتت ولا يصيبها شيء المرة فكان كذلك.

ومن ذلك ما حدث به الشيخ الصالح عبد الرحمن الشُمني[135] قال لما جئت من المغرب وأودعت ما معي من أثاث ومتاع عند بعض المغاربة، وذهبت لا أتي بالأهل فلما جئت بهم لم أجد من أودعت عنده بالمكان الذي تركته ولم أدل على مكانها، فحدث لي أمر عظيم، وذهبت فمرضت لأجل نفسي والعيال لكوني ليس معي شيء أخر، فجلست

(132) تقع هذه المدرسة في شارع المعز بمنطقة النحاسين في القاهرة، أثر رقم (43) وهي جزء من مجمع ضخم يضم أيضًا قبة ضريحية وبيمارستان (مستشفى)، بناها السلطان المملوكي المنصور قلاوون 684هـ/ 1285م. ينظر: الخطط المقريزية، 4/ 513.

(133) المخطوط ورقة رقم 41.

(134) جمال الدّين عبد الله بن الفيشي الْمَالِكِي (ت:794هـ/ 1392م)، أحد نواب الْقُضَاة الْمَالِكِيَّة بِالْقَاهِرَة. ينظر: المقريزي، السلوك، 5/ 329.

(135) نسبة لمزرعة أو قرية ببلاد المغرب ولم أعثر له على ترجمة، ولعله من الواردين من المغرب على مصر، وأحد رواد رواق المغاربة بالجامع الأزهر. ينظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار مكتبة الحياة د.ت)، 2/ 174.

بمكان بالقرافة، ولم استطعم بطعام، فدخلت علي جارية، فقلت أطلب منك سلفة خمسة دراهم، لأشتري بها شيئا نقتات منها، فإن عشت وفيتك، وإلا كان أجرك على الله، قال: ففعلت، ثم قيل لي: عليك بالشيخ عبد الله المنوفي فإنه صالح، قال فاشتريت بدرهم ونصف ما اقتاتوا به، وأكلت معهم، ثم ركبت وقصدت الشيخ وقلت في نفسي، إن كان هذا الرجل صالحا كما يقولون فهو يخبرني بمتاعي ويخبرني بأني هل ارجع بلدي وهل أجد أبواي، وإن لم يكن صالحا فلا يخبرني بشيء، قال: ولم أكن أعلم حال الشيخ فجئت للصالحية، وطلعت لبيته فإذا هو يدرس وعنده نحو خمسة من الطلبة، فسلمت فرد السلام، ثم نظر إلى طويلا، ثم قرر في المسائل للطلبة، فلما قرر نحو المسألتين، آذن الظهر فغلق الطلبة الكتب، ونزلوا لصلاة الظهر، فنظر إلى الشيخ وقال: يا حج عبد الرحمن، فنادى باسمي ولم أكن اجتمعت به، ثم قال لي: خاطرك مشوش من جهة متاعك، فقلت نعم، قال: تجده، ولكن بعد أن يحصل لك شيء من نسخ، وتذهب لبلدك وتجد أبويك ثم تعود إلى هذه البلاد، قال: فخرجت من عنده فوجدت مسمرا[136] وقد حصل لي فزع لكونه لم يكن ببلادنا فدخلت في زقاق فإذا هو سوق الكتب[137] فناداني شخص منه ودفع إلي ثلاثين درهما بسبب نسخ رسائل ولم يكن لي به معرفة. قال: ثم خرجت فوجدت الذي أودعته فذهبت وأخذت متاعي منه وكان الأمر كما ذكر الشيخ...[138].

(136) نوع من الصلب على صليب من الخشب، تدق في أطراف المحكوم بالإعدام بالمسامير إلى الخشب، فيبقى المسمر ساعات أو أياما حتى يموت. ينظر: يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب المصرية)، 16/ 500.

(137) كان سوق الكتب في تلك الفترة فيما بين الصاغة وبيمارستان المنصور، بالقرب من المشهد الحسيني. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 3/ 338.

(138) المخطوط ورقة رقم 43.

المطلب الثاني بركته على ولده وأصحابه:

بوب الخليل بابا بعنوان بركته على أولاده وأصحابه ومن ألتجأ إليه وكان مما جاء فيه:

أما أولاده فترك رحمه الله- سيدي محمد وهو الكبير، وسيدي إبراهيم، ورقيه، أما رقية فتوفيت بعده بقليل، أما الولدان فلم يزالا في خير معظمين،... ورأيت عليهما من البركة ما يعجز عن ذكره، وربما كانا أحسن حالا من بعض أولاد الأمراء[139]!

وهذه نسخة وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله نحمده ونشكره ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونبرأ من الحول والقوة إليه، أما بعد؛

فأقول وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد المنوفي أني أشهد أن لا إله إلا الله تعالى وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وأوصي بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[البقرة: 132]، وأوصي أن القمح الذي يخصني من القمح الذي عند أولاد أختي، يجرى الحال فيه على ما كان، من اطعامه للفقراء، وأولادي فيه كسايرهم، وأن يتصدق بثلث ما أتركه على الفقراء المستحقين للزكاة، ويوقف الملخص على عمر الهسكوري ثم هو وقف على من شاء الله بعده، ويصلح ابن الحاجب ويوقف، وكذلك التنقيح للقرافي على طلبة العلم، ويحتسب ذلك من الثلث، ومن جملة ما يتصدق بثلثه النفيقة التي في طويقة[140] البيت. انتهى[141].

(139) المخطوط ورقة 52.

(140) النفيقة والطويقة تصغير نفقة وطاقة.

(141) المخطوط ورقة 53.

وقفة مع الوصية:

قبل الدخول إلى بنود الوصية المختصرة الشافية الكافية، نجد أولا أن صلاح الولد من صلاح الوالد، وأن خيرية الوالد تصيب الولد والذرية، وليس أدل من ذلك قول الله جل جلاله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: 82].

وعن الوصية اشتملت على ما يلي:

1- البدء بالبسملة والحمد لله مع الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- إبراز الجانب العقدي في شخصية المنوفي من خلال تجرده من الحول والقوة وإظهار كمال التوكل والالتجاء للواحد الأحد الفرد الصمد.

3- التأكيد على جانب التوحيد وتمثل سنن السابقين فيوصي بما أوصى به الخليل عليه السلام والأنبياء من بعده.

4- الابقاء على حقوق الفقراء والمساكين كما كانت في حياة الشيخ.

5- بروز جانب الوقف العلمي من خلال وقف الكتب الثلاثة التي حددها الشيخ على طلاب العلم.

يقول الخليل: وأما أصحابه فحصل لكل منهم الخير إما بعلم وإما بدين وإما بالأمرين جميعا وكل من صاحبه أو رآه علم ذلك وهذا أمر مقطوع به عند أصحابه فمن ذلك ما حدثني به القاضي الأجل حمزة نجم الدين من أكابر أصحاب سيدي الشيخ، قال: مرضت مرضة عظيمة أشرفت فيها على الموت، فرآني سيدي الشيخ قال: فوضع كفه في كفي، فأجد لذلك برودة، وأحس بانقضاء الوجع عني قليلا(142).

(142) المخطوط ورقة 53.

وحدث كذلك أن مخدم صاحب الينبع[143] صاحب الينبع إلى مصر، ثم قصد السفر فقصدت السفر معه بأهلي إلى الحجاز الشريف فصار الأصحاب يقولون لي: هذا خطر لعدم الركب وكان بين مخدم وعرب بلى عداوة وذكر أنهم جالسون له ينتظرونه ليأخذوه ومن معه فذكر الأصحاب ذلك لسيدي الشيخ فقال ما يفعل إلا المصلحة، فسافرت بأهلي وسافر معي أخي، وسافر الشيخ العالم المحدث فخر الدين النويري وولده كذلك، وكنا إذا نزلنا نضرب ثلاثة خيم، فنزلنا أول ليلة بالقرب من التربة التي فيها سيدي الشيخ رحمه الله، فذهبت إليه وطيبت خاطره، فقال: أرجو من الله تعالى أنه لا يصيبكم شيء، فسافرنا ونحن طيبو القلب بقول الشيخ، قال: فوصلنا إلى بلبيس فدخل أخي إلى الحمام، فوجد به ابن بدير العباسي[144] فنهاه عن السفر وقال: إن سفركم خطر وأنا أعرف منكم بالعرب والحجاز، ولا أقدر أسافر، وأنتم رزق للعرب، قال: فتركنا حديثه واعتمدنا على الله تعالى، لم نزل طيبين إلى أن وصلنا إلى بلي[145] فانفصل الحال بينه وبينهم على عدم مقاتلة ولم نزل في خير إلى الينبع، وفارقنا الينبع وأهله يخافون علينا قال: فنظرت ليلة خروجنا من الينبع سورا مضروبا علينا من هنا ومن هنا ثم قرأت ونظرته ثانيا وأشك هل حصل لي مرة ثالثة أم لا، فأخبرت الشيخ فخر الدين فقال: أنت ثقة وما يصيبنا شيء؛ فكان كذلك ولم يذهب لنا شيء أصلا فعلمنا أن ذلك ببركة الشيخ[146].

(143) مدينة في أرض الحجاز على البحر الأحمر. ينظر: محمد بن حوقل، صورة الأرض، (بيروت: دار صادر، 1938م)، 1/ 33.

(144) ناصرالدين محمد بن محمد بن بدير العباسي صاحب المدرسة البدرية، بشارع المعز. ينظر: المقريزي، الخطط، 4/ 571.

(145) بنو بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، وقد دخلوا مصر مع جيش عمرو بن العاص- رضي الله عنه- واستقروا بها، وكثروا في الريف والصعيد. هشام بن محمد الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المحقق: ناجي حسن، الطبعة الأولى، (بيروت: عالم الكتب، 1408 هـ - 1988م)، 2/ 705.

(146) المخطوط ورقة 54.

ومن ذلك ما رواه الخليل: أن فقيرا قدم من برمنت[147] بلده من قرى مصر، ومعه قليل قمح فمات بقنطرة السباع[148] فاطلق من ديوان المواريث[149]، فأرسلوا كاشفا[150] يكشف على موجوده فجاء إلى المدرسة لكونهم قالوا له: إن الشيخ هو الذي يتولى أمره، فكلمه سيدي الشيخ الصالح محمد المكناسي (فتوعده بمكروه) إن لم يذهب فلم يتأثر لكلامه، فكلموا بعض أبناء الدنيا ممن له الكلمة، وقالوا له على ذلك: وقال له أذهب فلم يفعل، وقال أنا أذهب لبيوت الأمراء وغيرهم فلا يقدر أحد يمنعني، لأني إنما أطلب حقا، إن كان له شيء حمل إلى بيت المال فهو كذلك، وإذ بسيدي الشيخ والناس تزدحم عليه وتقبل يده يمينا وشمالا، فلما جاء جلس على حافة المدرسة، ثم نظر للكاشف نظرة فارتعد وذهب ولم يتكلم كلمة واحدة[151].

المطلب الثالث المنوفي مجاب الدعوة:

وكان الشيخ رحمه الله شديد في الحق، مهاب الجانب، لا يخاف في الله لومة لائم، يحكي الشيخ خليل على لسان بعض الطلاب، أنه حاول أن يجوز على المكاس بأمتعة فلما فتشوه وأخذوا متاعه قال إنه من طلاب الشيخ لعلمه أنهم يهابون الشيخ، فقالوا: له أتنا بمكتوب من الشيخ، فلما ذهب إلى الشيخ لم يرض أن يكتب له، وقال: كفانا الله شرورهم، والله يلطف بكم، فلما ذهب التلميذ ورفاقه ونقل قول الشيخ قال الجند خذوا

(147) ووردت بتزمنت بلدة بالبهنسا من صعيد مصر غرب النيل. ينظر: محمد بن محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، (بيروت: عالم الكتب، 1409 هـ/1989م)، 1/ 125.

(148) قناطر شيدها الظاهر بيبرس على الخليج المصري في ميدان السيدة زينب الحالي، وكانت تعرف قديما بالحمراء القصوى، وسميت بقناطر السباع نسبة لرنك السبع الذي كان رمزا وشعارا للظاهر بيبرس، وظلّت قناطر السّباع قائمة إلى نهاية القرن التاسع عشر. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 3/ 450، 3/ 488، حاشية رقم(1).

(149) ويعرف بديوان المواريث الحشرية، ومعناه ممن يموت ولا وارث له. القلقشندي: صبح الأعشى، 4/ 33.

(150) الرئيس أو الأمير المكلف برقابة أمر من الأمور الموكلة إليه، ويعاونه فيها مجموعة من المرؤوسين. ولعله يشبه منصب المحافظ في عصرنا المعاصر. رينهارت، تكملة المعاجم، 9/ 95.

(151) المخطوط ورقة 55- 56.

متاعكم ما لنا حاجة برسالتكم، خشية أن تصيبهم دعوة الشيخ، ولعلمهم أن دعوته مستجابة[152].

ومما يدل على أنه مجاب الدعوة ما مر بنا وما حكاه كذلك الخليل وألخصه في التالي:

1- أحد الشيوخ الصالحين حدث له تعب وألم شديد في بطنه، كاد يهلك منه فدخل شخص بخبز وقراقيش وذكر أنه من خبز الخليل إبراهيم عليه السلام، فأخذ الشيخ منها شيئا، وقال كله فإن العافية تحصل به، فكان كذلك.

2- وكذا ما أخبر به الشيخ صالح الجزيري[153] قال لم أر الشيخ إلا مرة واحدة، فرأيته في جنازة فصلي عليه ثم أتيت إليه فقلت له يا سيدي، اطلب منك أن تدعو لي ثلاث: خدمة الفقراء، والكسوة الممدودة، والاعانة على الطاعة قال: فسكت ثم قال للجماعة للذين حوله، لم يسألني أحد الطريقة كاملة إلا هذا الشاب!، قال: فدعا لي وحصل لي من بركته بتلك الدعوات.

3- ومن ذلك أن زوجة سيدي الشيخ وأم أولاده (الثالثة) واخواتها لا يستطعن أن يأكلن لحم البقر أو الغنم أو الإبل، ومتى أكلن منه حصل الضعف، فلما شكت للشيخ ذلك أمرها أن تأكل ولا يصيبها شيء، وقد كان ذلك ببركة دعاء الشيخ لها ولأخواتها[154].

4- ومن ذلك ما حدث به الخليل، أن أحد أهل الخير الصلحاء حدثه قائلا: سافرنا من منوف في مركب إلى القاهرة، وكان الشيخ فيها، فوحلت المركب في رأس الليان[155]

---

(152) المخطوط ورقة 56 بتصرف.

(153) أنشأ زاوية بالجزيرة الوسطى في النيل فعرف بالجزيري، قبالة الروضة، وأقام بها. وكان عبداً صالحاً منور القلب، مات سنة (781هـ/1379م) ودفن بزاويته تلك. عمر بن علي ابن الملقن، طبقات الأولياء، بتحقيق: نور الدين شريبه، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1415 هـ - 1994م)، ص554.

(154) المخطوط ورقة 57.

(155) أوردها ابن الجيعان في التحفة باسم سرس، والمعروفة الآن بسرس الليان، بالمنوفية. ينظر: يحيي بن مقر الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1974م)، ص 105.

فنزل سيدي الشيخ، ثم جلس على الشاطئ ونزل جميع من فيها من ركاب وملاحين، ليعوموها فلم يطيقوا، ولم يفلحوا، فقال بعضهم ما يعومها إلا هذا، يقصد الشيخ عبد الله، قال: فقام فأخذ بطرف الحبل، فمن حين أمسكه جرت جريا قويا[156]!

5- ومن ذلك ما حكاه الخليل كذلك عن أحد الأخيار، أن الشيخ رحمه الله كان في سفر إلى الحجاز في المركب، وأشرفت المركب على الغرق فأمروا الركاب أن يرموا حوائجهم وبعض متاعهم، ففعلوا، وطلبوا أن لا يرمي الشيخ شيئا فأبى ورفض، وأصر أن يرمي من متاعه بقدر ما رموا!

ولما أشتد عليهم الأمر وأشرفوا على الهلاك، يقول: فرأيت سيدي الشيخ اغرورقت عيناه بالدمع، وهو ينظر نحو السماء فاستقر المركب، وهدأت الريح ووصلنا على أحسن حال![157].

ثم ختم الخليل مخطوطه عن مناقب الشيخ بباب ذكر فيه بعض كرامات الشيخ في وفاته وبعد موته، أذكر طرفا مما ذكره من ذلك:

1- ما أخبر به جماعة ممن حضر طلوع الروح، أنهم وجدوا عند خروج روحه- رحمه الله- ريحا كريح المسك أو هو أطيب.

2- وما حكاه بعضهم أن بعض المغاربة وكان حاضرا في أثناء طلوع الروح فجعل يقول للشيخ قل: أذكر الله تعالى وألح عليه حتى نظر إليه الشيخ نظر المنكر! قائلا: كيف أنسى من لا أعرف الخير إلا منه!

قلت: وفي نكتة لطيفة لبعض الذين يلحون على الميت في أثناء الاحتضار بدعوي أنه من كان أخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وهذا حديث صحيح لا شك ولكن

(156) المخطوط ورقة 58.
(157) المخطوط ورقة 58 بتصرف.

المرء في تلك الحالة يكون في ملكوت أخر، ولو سمعها منه الحاضر مرة واحدة تكفي، ويقولها ولا يلح عليه وبه قال أهل العلم والفقه والفهم[158].

3- ما حكاه ولد اخته عن تكفينه، قصد جماعة أن يكفنوه من عندهم، فقال لهم: إن الشيخ عنده الكفن، فقصد أن يكفن في خمسة أثواب أو سبعة، فاحتاج إلى قميص، فقال محمد ولد أخته، عندي قميص وهو في الأصل كان للشيخ، كان من الشرب فدفعه لزوجته لكونه لا يلبس ذلك، ولكونه لا يلبس غالبا إلا غزل اخته، فلما سافرت الحجاز وجئت دفعته زوجة الشيخ لي، قال فدفعنا الكفن لسيدي أحمد الأبواني لخيطه وعددناه عليه وفي ذلك ثوبان أحدهما من غزل أخته وعددناه عليه وفي ذلك ثوبان، أحدهما من غزل أخته، والأخر القميص الشرب، فخيط الدروج[159] وجهز الجميع، ثم قصدنا أخذ الكفن، فلم نجد القميص الشرب، ففتش عليه الحاضرون، فلم يجدوه فقال محمد عندي خرقة من غزل والدتي، ففصلوه له، فلما جاء لها وفصلته له وجد القميص في محله، فعلم أن الشيخ كان قصد ألا يتكفن به.

4- ومن ذلك اجتماع أهل مصر والقاهرة لحضور جنازة الشيخ حتى أنه لم ير مثل تلك الجنازة، بالرغم من وجود الوباء، وخوف الضرر لكن ببركة الشيخ لم يصيبهم شيء[160].

قلت: والشيخ رحمه الله كان من نوادر عصره وفلتات الزمان، جبل أشم راسخ في العلوم والفنون، وقد أحسن تلميذه الشيخ الخليل رحمه الله في إخراج هذا المخطوط الطيب، الذي يبرهن فيه على حبه وإخلاصه وتفانيه لشيخه، وكرد للجميل، ذلك أن الشيخ دوما كان يحسن لأستاذه فقيض الله له من يرد له الجميل بعد وفاته رحمهم الله جميعا وأجزل مثوبتهم!

---

(158) ينظر: عمر بن علي ابن الملقن، عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، تحقيق: عز الدين هشام بن عبد الكريم البدراني، (الأردن: دار الكتاب، 1421 هـ - 2001م)، 1/ 413.

(159) يراد بها الكرسف. أحمد رضا، معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377هـ/ 1958م)، 2/ 395.

(160) المخطوط ورقة 60.

المبحث الخامس

المطلب الأول: الأثر الحضاري

أجمع المترجمون على جلالة قدر الشيخ عبد الله المنوفي، حيث وصفه ابن فضل الله العمري بـ"قطب رحى مصر وشمس ضحاها"، مشيداً بزهده وانقطاعه عن الدنيا ورفضه للمناصب السلطانية، رغم توسط الأكابر له لدى السلطان الناصر محمد. وبينما وقع العمري في أوهام كنسبته للشافعية وتصحيف اسم والده، فقد استدرك الصفدي ذلك مؤكداً تفقهه على المذهب المالكي، وروى قصصاً تجسد زهده وتواضعه مع الفقراء والحيوان[161]

وفي سياق تأريخ وفاته، أورد ابن الملقن وصفه بالزاهد الأوحد ذي الكرامات، مشيراً إلى جنازته التاريخية التي حُزر مشيعوها بثلاثين ألفاً" بسبب خروج الناس للاستسقاء ورفع الوباء[(162)]. وهو ما أكده الحافظ العراقي الذي حضر الجنازة، واصفاً إياها بأنها كانت مشهودة ملأت الصحراء، حيث "كأن النداء كان لجنازته"[(163)]. وتتفق المصادر التاريخية كـ المقريزي وابن تغري بردي على إمامته في المذهب المالكي، وجمعه بين علمي الطريقة والحقيقة، ومكانة قبره كمعلمٍ يزار للتبرك[(164)].

المطلب الثاني: بعض آثار الشيخ وتلاميذه: ترك الشيخ إرثاً تربوياً متمثلاً في تلامذته الذين حملوا مشعل التنوير، أبرزهم:

1. **خليل بن إسحاق المالكي** :نبغ في الفقه والأصول واللغة، وخلف شيخه في تدريس "الصالحية". ويُعد كتابه "مختصر خليل" —الذي شرحه في "التوضيح" و"مواهب الجليل"– الدستور الفقهي الأهم للمالكية عالمياً[(165)].

([161]) الصفدي، الوافي بالوفيات، 373/17

([162]) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص555.

([163]) العراقي، الذيل، ص113.

([164]) المقريزي: السلوك، 86/4.

([165]) يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 7/ 91.

2. **أبو محمد اليافعي** :أحد أساطين التصوف، تأثر بالمنوفي فجمع في مؤلفاته كـ "نشر المحاسن" و"روض الرياحين" بين صرامة الفقه ونفحات التصوف السني[166].
3. **أحمد بن عمر الربعي** :برع في الفقه والعربية، وعُرف بكثرة عزلته عن أهل المناصب تأسياً بشيخه المنوفي، تاركاً شروحات نفيسة على "مختصر ابن الحاجب"[167].
4. **برهانه الدين (ابنه** :(سار على نهج أبيه فقهاً وخطابةً.

حوش المنوفي (قرافة قايتباي) تحول مقام الشيخ إلى "نواة عمرانية" وروحية، حيث جرت عادة المصريين —مقتدين بالأمراء— على الرغبة في الدفن بجواره. وقد استغل السلطان **قايتباي** هذه المكانة الروحية، فبنى مجموعته المعمارية الكبرى بجوار ضريح المنوفي، محولاً المنطقة إلى قلعة علمية وفكرية تضج بالحياة. وقد أوصى كبار العلماء والأزهرية عبر القرون بالدفن في "حوش المنوفي"، كـ **الشرواني** و**الأرميوني** و**ابن الضياء**، مما جعل من هذه البقعة سجلاً تاريخياً يربط بين العلم والذكر والتقوى[168].

وفي الختام يمكن القول إن الشيخ عبد الله المنوفي أحد أبرز شخصيات التنوير في العصر المملوكي. لم يكن مجرد فقيه مالكي، بل كان ظاهرة حضارية جمعت بين عمق فقه الشريعة وسمو سلوك الطريقة. يستند هذا البحث إلى مخطوط مناقب المنوفي الذي كتبه تلميذه النجيب خليل بن إسحاق، محاولاً فك الاشتباك بين الهوية العلمية للمنوفي وزهده السلوكي، وأثر ذلك في بناء الإنسان والمجتمع المملوكي.

1- التكوين الفكري وتعدد الروافد :لم يكن تكوين المنوفي نتاج مدرسة أحادية، بل كان ثمرة تلاقح فكري بين مدارس القاهرة الكبرى كـ "الصالحية" و"المنكوتمرية". احتك خلالها بنخبة من جهابذة عصره، مما صقل موهبته وجعل منه "بدر الزمان" في العلوم

([166]) عبدالغني بن عبدالواحد المرشدي، تذييل الذيل، قرأه وعلق عليه: أحمد عبد الستار، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الذخائر، 1440هـ-2019م)، ص262.

([167]) ابن فرحون، الديباج المذهب، 1/ 258

([168]) المقريزي، الخطط، 3/ 86.

الشرعية والروحية. هذا التنوع في الشيوخ، من فقهاء ومحدثين إلى أطباء وفلاسفة، منح خطابه الديني شموليةً وعمقاً، وهو ما يفسر قدرته على حل "الإشكالات الفقهية" المعقدة التي عجز عنها غيره.

2- المنظومة التربوية يبرز الشيخ المنوفي كالمربي الروحي الأول، الذي استمد منه عبد الله نهجه الشاذلي القائم على الحال قبل المقال. جسدت هذه العلاقة قيم "الوفاء العلمي"؛ إذ لازم عبد الله شيخه حتى وفاته، متشرّباً منه أصول التربية التي تعتمد على الصدق والإخلاص، وهو ما وضع الأسس الأولى لأثر المنوفي الحضاري الممتد.

3- الأثر العلمي: مدرسة المنوفي وتقنين الفقه المالكي :كانت المدرسة الصالحية بالنسبة للمنوفي "مختبراً حضارياً" دمج فيه بين ثلاثة مسارات:

- المسار الروحي :لتهذيب النفوس عبر "الرسالة القشيرية."
- المسار المعرفي :للتأصيل العلمي بـ "تفسير الواحدي."
- المسار التطبيقي :لإصلاح المجتمع بـ "مدخل ابن الحاج ."هذه الثلاثية جعلت من درسه جسراً يجد الطالب فيه عمق المذهب مع سعة الأفق. أما تلميذه خليل بن إسحاق صاحب "المختصر"، فكان أعظم ثمار هذا المنهج؛ حيث تأثر بدقة شيخه في اختيار الألفاظ وحسن التقسيم، ليخرج لنا مختصراً فقهياً صار دستوراً عالمياً للمذهب المالكي، يعكس رصانة لغوية وفهماً مقاصدياً استلهمه من شيخه.

4- الوفاء العلمي والوقف الحضاري :تجلت رؤية المنوفي الحضارية في وصيته بوقف أمهات الكتب (كالتنقيح للقرافي ومختصر ابن الحاجب) على طلبة العلم. هذا السلوك لم يكن مجرد صدقة، بل "استدامة معرفية" تضمن تداول الأدوات والملكات العلمية بين الأجيال، مع ربطه بين نهضة العقل وتكافل الجسد بإطعام الفقراء من ريع وقفه، مما يبرز رؤيته التكاملية للإنسان.

4- الجانب الاجتماعي: التصوف كقوة إصلاحية وتكافلية :خلافاً للتصورات الضيقة عن التصوف، قدّم المنوفي نموذجاً للتصوف "المجتمعي":

- الإغاثة: في سنوات الغلاء، كان ينفق نفقات "تعجز عنها الملوك" لإطعام الجياع وتوزيع الكسوة سراً، محولاً الزاوية إلى مؤسسة تكافل اجتماعي.
- الاستقلالية: رفضه للمناصب والرواتب السلطانية جعله "العالم الحر" الذي يستمد قوته من الاستغناء عن السلطة والارتباط بالبسطاء، مما منحه سلطة روحية ووساطة اجتماعية تحمي المظلومين وتضبط إيقاع المجتمع.

5- الأثر المعماري: قرافة قايتباي: لعل من أعظم الآثار الحضارية للمنوفي بعد مماته أنه كان سبباً في تشييد "مدينة الموتى" التي صارت تنطق بالحياة. فقد اختار مستقراً لجسده في موضع صار بمرور الوقت قلباً نابضاً لأجمل المجمعات المعمارية؛ إذ جذب صيته السلاطين، وفي مقدمتهم قايتباي، لإنشاء أضرحتهم ومنشآتهم بجواره تبركاً، مما حول الصحراء من قفر إلى مجمعٍ يربط بين العبادة والتعليم والخدمة الاجتماعية.

6- المنوفي في نظر معاصريه والجنازة التاريخية :وصفه ابن فضل الله بقطب رحى مصر. أما جنازته في رمضان 749هـ، والتي شهدها ثلاثون ألفاً، فكانت استفتاءً حضارياً. فبينما كان الأثرياء يغلقون قلاعهم خوفاً من الطاعون، خرج الناس خلف نعش المنوفي؛ مما يثبت تفوق السلطة الروحية للعالم الزاهد على سلطة القصر السياسية، وترسيخ صورة العالم الذي يمتلك قلوب العامة.

الخلاصة والنتائج الحضارية: تخلص الدراسة إلى أن المنوفي جسّر الهوة بين المشرق والمغرب في المذهب المالكي، وأنسن الفقه بتحويله إلى سلوك حي، وكرس نموذج العالم القائد مجتمعياً. لقد كانت تجربته إثباتاً أن المقامات لم تكن مجرد مدافن، بل محركاً للتنمية العمرانية، وأن الوقف كان صمام الأمان لاستمرار المعرفة، ليظل المنوفي نموذجاً للإنسان الحضاري الشامل.

كلمة ختامية :لم يكن التصوف في زمن المنوفي مجرد زاوية منعزلة، بل نظام حياة تغلغل في مفاصل الدولة، مُشكّلاً قوة أخلاقية مستقلة وضابطة. لقد علمنا المنوفي أن استقلالية المؤسسة العلمية هي الضمانة الوحيدة لمواجهة الاستبداد والفساد، وأن التربية بالقدوة (بالحال لا بالمقال) هي المسار الوحيد لتخريج علماء عاملين يجمعون بين استقامة العقيدة وقوة العلم ورحمة الخلق.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يمكن القول إن الشيخ عبد الله المنوفي صاحب القبر المشهور، والذي طالما زاره الصلحاء والفضلاء، معتقدين فيه الطهر والصلاح، لرجل من أولياء الله عاش طوال عمره، ينافح عن الحق، ويدارس كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فما أجمل أن نقدم هذا النموذج الحضاري التربوي الفكري، لينير الدرب، ويرشد الحيارى، ويؤكد أن بنوة العلم، وأن شرف العلم خير وأبقى.

وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج يبرزها فيما يلي:

1- الشيخ عبد الله المنوفي أصوله من المغرب العربي، وميلاده في محافظة البحيرة، ونسبه إلى شيخه من منوف.

2- تعد فتاوي الشيخ المنوفي في العديد من قضايا الفقه والأصول مرجعا كبيرا، يرجع إليه كبار الفقهاء والقضاة، ولا زلنا نعتمد على بعض من تلك الآراء في المجامع الفقهية، سواء تلك التي نقلها عنه تلميذه الخليل في كتبه، أو نقلته كتب الفقه والتراث

3- كان الشيخ رحمه الله النموذج الأكمل لأخلاق الصحابة، والنموذج الأمثل لما ينبغي أن يكون عليه العالم العامل، يتخلق بالقرآن ويتآسي بسيد الخلق في أفعاله وأقواله

4- التشابه الكبير بين الشيخ وبين مولانا الإمام الشافعي وبسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في النشأة، واليتم، وكذا في طلب العلم والحرص عليه، وبالتأييد من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم

5- ثراء فترة دولة المماليك بالعلماء والصلحاء، والموسوعيين

أما عن التوصيات:

1- ضرورة التنقيب عن الكنوز المنسية وإبراز دورها الفكري والمجتمعي والحضاري أمثال الشيخ عبد الله

2- اعادة النظر في فتح باب التحقيق للمخطوطات لطلاب وباحثي أقسام التاريخ والحضارة في جامعة الأزهر

3- التكثيف من الدراسات البينية التي تبرز الجهود الحضارية لعلماء الأمة من الفقهاء والأدباء والمحدثين وعلماء الطب والطبيعة وغيرها.

4- عمل مشروع علمي متكامل يهدف للترجمة لأعلام التصوف في مصر الإسلامية في عصورها المختلفة، ترجمة وافية من خلال كتب طلابهم، وما تناولته كتب التراث.

المصادر والمراجع

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، القناعة والتعفف، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1413 هـ - 1993م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار التأصيل، 1433 هـ - 2012م).

البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1988 -2009 م).

ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب المصرية).

تيمور، أحمد بن إسماعيل، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، المحقق: حسين نصّار، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1422هـ - 2002م).

الثعالبي، عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م).

جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2010 م).

الجندي، خليل بن إسحاق، مناقب الشيخ عبد الله المنوفي مخطوط، مكتبة الأزهر رقم(3577) 5482.

الجيعان، يحيي بن مقر، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1974م).

ابن الحاج، محمد بن محمد، المدخل، (دار التراث).

ابن حجر، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1392هـ، 1972م).

ابن حجر، أحمد بن علي، معجم الشيخة مريم، ست القضاة مريم بنت عبد الرحمن بن أحمد الأذرعية (ت 797م)، المحقق: محمد عثمان، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبه الثقافة الدينية، 1431 هـ - 2010م).

ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط؛ عادل مرشد – وآخرون، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م).

ابن حوقل، محمد، صورة الأرض، (بيروت: دار صادر، 1938م).

خياط، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، المحقق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، (بيروت، دمشق: مؤسسة الرسالة- دار القلم، 1397).

الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية).

الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الرسالة العلمية، 1440هـ/ 2019م).

رضا، أحمد، معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377هـ/ 1958م).

رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تحقيق وترجمة: محمد سليم النعيمي، سليم الخياط، الطبعة الأولى، (العراق: وزارة الثقافة، 1979-2000م).

السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت: دار مكتبة الحياة د.ت).

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المحقق: محمد عثمان الخشت، الطبعة الأولي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1405هـ/ 1985م).

السلامي، محمد بن هجرس بن رافع، الوفيات، المحقق: صالح مهدي عباس، بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1402هـ/ 1982م).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار ابن كثير، 1421 هـ - 2000م).

ابن سيده، علي بن إسماعيل المخصص، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ 1996م).

الشريف الإدريسي، محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، (بيروت: عالم الكتب، 1409 هـ/1989م).

الشَّعْراني، عبد الوهاب بن أحمد، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق (المنن الكبرى)، ضبط وعناية أحمد عزو، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار التقوى للنشر والتوزيع، 1425هـ 2004م).

الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414 هـ - 1993م).

الصفدي، خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: علي أبو زيد، الطبعة الأولى، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1418 هـ - 1998م).

الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ- 2000م).

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، مجموعة من المحققين، (القاهرة: دار الحرمين، 1415 هـ - 1995م).

عليش، محمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ 1984م).

الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د. ت).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (القاهرة: مكتبة الهلال).

ابن فضل الله، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الطبعة الأولى، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1423هـ/2002م).

الفيومي، حسن بن علي، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للمنذري، قدم له: عبد الله بن محمد الغنيمان، تحقيق: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة دار السلام، 1439هـ/ 2018م).

القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق المسمى أنوار البروق في أنواء الفروق، (عالم الكتب، د.ط).

القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق: محمد شمس الدين، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ، 1987م).

كراع النمل، علي بن الحسن، المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الطبعة الثانية، (القاهرة: عالم الكتب، 1988م).

الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير، المحقق: ناجي حسن، الطبعة الأولى، (بيروت: عالم الكتب، 1408 هـ - 1988م).

ابن مَازَةَ البخاري، محمود بن أحمد، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2004م).

مبارك، علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1425هـ، 2005م).

المرشدي، عبدالغني بن عبدالواحد، تذييل الذيل، قرأه وعلق عليه: أحمد عبد الستار، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الذخائر، 1440هـ-2019م).
المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1997م).
المقريزي، أحمد بن علي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ- 2006م).
المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1422 هـ - 2002م)..
ابن الملقن، عمر بن علي، طبقات الأولياء، بتحقيق: نور الدين شريبه، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1415 هـ - 1994م).
ابن الملقن، عمر بن علي، عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، تحقيق: عز الدين هشام بن عبد الكريم البدراني، (الأردن: دار الكتاب، 1421 هـ - 2001م).
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مجموعة من المحققين، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار صادر، 1414 هـ/ 1993م).
النووي، يحيى بن شرف، فَتاوَى الإمامِ النَّوَوِي المسمَّاةِ: بالمسَائِلِ المَنْثورَةِ، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلَاء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار، الطبعة السادسة، (بيروت: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، 1417 هـ - 1996م).
النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان تفسير النيسابوري، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1995م).
النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374 هـ - 1955م).
اليافعي، عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين المسمى نُزْهَةُ الْعُيُوْنِ النَّوَاظِرِ وَتُحْفَةُ الْقُلُوْبِ الْخَوَاضِرِ فِيْ حِكَايَاتِ الصَّالِحِيْنَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَكَابِرِ، (القاهرة: مكتبة زهران).

References:

al-Bazzār, Aḥmad ibn ʿAmr, Musnad al-Bazzār al-Manshhūr bi-Ism al-Baḥr al-Zakhkhār, ed. group of scholars, 1st ed. (al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabat al-ʿUlūm wa-al-Ḥikam, 1988–2009).

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl, al-Jāmiʿ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umūr Rasūl Allāh Ṣallā Allāh ʿAlayhi wa-Sallam wa-Sunanihi wa-Ayyāmihi al-Maʿrūf bi-Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, 1st ed. (al-Qāhirah: Dār al-Taʾṣīl, 1433 AH / 2012).

al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, al-ʿIbar fī Khabar man Ghabar, ed. Muḥammad al-Saʿīd Zaghlūl (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah).

al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad, Siyar Aʿlām al-Nubalāʾ, ed. group of scholars, 2nd ed. (Bayrūt: Dār al-Risālah al-ʿIlmiyyah, 1440 AH / 2019).

al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, Kitāb al-ʿAyn, ed. Mahdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmarrāʾī (al-Qāhirah: Maktabat al-Hilāl).

al-Fayyūmī, Ḥasan ibn ʿAlī, Fatḥ al-Qarīb al-Mujīb ʿalā al-Targhīb wa-al-Tarhīb lil-Mundhirī, introduced by ʿAbd Allāh ibn Muḥammad al-Ghunaymān, ed. Muḥammad Isḥāq Muḥammad Āl Ibrāhīm, 1st ed. (al-Riyāḍ: Maktabat Dār al-Salām, 1439 AH / 2018).

al-Ghazālī, Muḥammad ibn Muḥammad, Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn (Bayrūt: Dār al-Maʿrifah, n.d.).

al-Jayʿān, Yaḥyā ibn Muqir, al-Tuḥfah al-Saniyyah bi-Asmāʾ al-Bilād al-Miṣriyyah (al-Qāhirah: Maktabat al-Kulliyyāt al-Azhariyyah, 1974).

al-Jundī, Khalīl ibn Isḥāq, Manāqib al-Shaykh ʿAbd Allāh al-Manūfī, manuscript, Maktabat al-Azhar, no. 3577 / 5482.

al-Kalbī, Hishām ibn Muḥammad, Nasab Maʿadd wa-al-Yaman al-Kabīr, ed. Nājī Ḥasan, 1st ed. (Bayrūt: ʿĀlam al-Kutub, 1408 AH / 1988).

al-Maqrīzī, Aḥmad ibn ʿAlī, al-Mawāʿiẓ wa-al-Iʿtibār fī Dhikr al-Khiṭaṭ wa-al-Āthār, ed. Ayman Fuʾād Sayyid, 1st ed. (Landan: Muʾassasat al-Furqān lil-Turāth al-Islāmī, 1422 AH / 2002).

al-Maqrīzī, Aḥmad ibn ʿAlī, al-Muqaffā al-Kabīr, ed. Muḥammad al-Yaʿlāwī, 2nd ed. (Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1427 AH / 2006).

al-Maqrīzī, Aḥmad ibn ʿAlī, al-Sulūk li-Maʿrifat Duwal al-Mulūk, ed. Muḥammad ʿAbd al-Qādir ʿAṭā, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1418 AH / 1997).

al-Murshidī, ʿAbd al-Ghanī ibn ʿAbd al-Wāḥid, Tadhhīl al-Dhayl, read and annotated by Aḥmad ʿAbd al-Sattār, 1st ed. (al-Qāhirah: Dār al-Dhakhāʾir, 1440 AH / 2019).

al-Nawawī, Yaḥyā ibn Sharaf, Fatāwā al-Imām al-Nawawī al-Musammāh bi-al-Masāʾil al-Manthūrah, arranged by his student ʿAlāʾ al-Dīn ibn al-ʿAṭṭār, ed. Muḥammad al-Ḥajjār, 6th ed. (Bayrūt: Dār al-Bashāʾir al-Islāmiyyah lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1417 AH / 1996).

al-Naysābūrī, al-Ḥasan ibn Muḥammad, Gharāʾib al-Qurʾān wa-Raghāʾib al-Furqān Tafsīr al-Naysābūrī, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1416 AH / 1995).

al-Naysābūrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, ed. Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī (al-Qāhirah: Maṭbaʿat ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, 1374 AH / 1955).

al-Qalqashandī, Aḥmad ibn ʿAlī, Ṣubḥ al-Aʿshā fī Ṣināʿat al-Inshāʾ, annotated by Muḥammad Shams al-Dīn, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1407 AH / 1987).

al-Qarāfī, Aḥmad ibn Idrīs, al-Furūq al-Musammā Anwār al-Burūq fī Anwāʾ al-Furūq (ʿĀlam al-Kutub, no ed.).

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak, al-Wāfī bi-al-Wafayāt, ed. Aḥmad al-Arnaʾūṭ and Turkī Muṣṭafā (Bayrūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth, 1420 AH / 2000).

al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak, Aʿyān al-ʿAṣr wa-Aʿwān al-Naṣr, ed. ʿAlī Abū Zayd, 1st ed. (Bayrūt wa-Dimashq: Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, Dār al-Fikr, 1418 AH / 1998).

al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-Ḍawʾ al-Lāmiʿ li-Ahl al-Qarn al-Tāsiʿ (Bayrūt: Dār Maktabat al-Ḥayāh, n.d.).

al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-Maqāṣid al-Ḥasanah fī Bayān Kathīr min al-Aḥādīth al-Mushtahirah ʿalā al-Alsinah, ed. Muḥammad ʿUthmān al-Khusht, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1405 AH / 1985).

al-Salāmī, Muḥammad ibn Hijras ibn Rāfiʿ, al-Wafayāt, ed. Ṣāliḥ Mahdī ʿAbbās and Bashshār ʿAwwād Maʿrūf, 1st ed. (Bayrūt: Muʾassasat al-Risālah, 1402 AH / 1982).

al-Ṣāliḥī, Muḥammad ibn Yūsuf, Subul al-Hudā wa-al-Rashād fī Sīrat Khayr al-ʿIbād, ed. ʿĀdil Aḥmad ʿAbd al-Mawjūd and ʿAlī Muḥammad Muʿawwaḍ, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1414 AH / 1993).

al-Samarqandī, Abū al-Layth Naṣr ibn Muḥammad, Tanbīh al-Ghāfilīn bi-Aḥādīth Sayyid al-Anbiyāʾ wa-al-Mursalīn, ed. Yūsuf ʿAlī Budaywī, 3rd ed. (Bayrūt: Dār Ibn Kathīr, 1421 AH / 2000).

al-Shaʿrānī, ʿAbd al-Wahhāb ibn Aḥmad, Laṭāʾif al-Minan wa-al-Akhlāq fī Wujūb al-Taḥadduth bi-Niʿmat Allāh ʿalā al-Iṭlāq (al-Minan al-Kubrā), ed. Aḥmad ʿAzzū, 1st ed. (al-Qāhirah: Dār al-Taqwā lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1425 AH / 2004).

al-Sharīf al-Idrīsī, Muḥammad ibn Muḥammad, Nuzhat al-Mushtāq fī Ikhtirāq al-Āfāq, 1st ed. (Bayrūt: ʿĀlam al-Kutub, 1409 AH / 1989).

al-Subkī, ʿAlī ibn ʿAbd al-Kāfī, Fatāwā al-Subkī (Bayrūt: Dār al-Maʿrifah, n.d.).

al-Ṭabarānī, Sulaymān ibn Aḥmad, al-Muʿjam al-Awsaṭ, ed. group of scholars (al-Qāhirah: Dār al-Ḥaramayn, 1415 AH / 1995).

al-Thaʿālibī, ʿAbd al-Malik ibn Muḥammad, Yatīmat al-Dahr fī Maḥāsin Ahl al-Dahr, ed. Mufīd Muḥammad Qamīḥah, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1403 AH / 1983).

al-Yāfiʿī, ʿAbd Allāh ibn Asʿad, Rawḍ al-Rayāḥīn fī Ḥikāyāt al-Ṣāliḥīn al-Musammā Nuzhat al-ʿUyūn al-Nawāẓir wa-Tuḥfat al-Qulūb al-Ḥawāḍir fī Ḥikāyāt al-Ṣāliḥīn wa-al-Awliyāʾ wa-al-Akābir (al-Qāhirah: Maktabat Zahrān).

Ibn Abī al-Dunyā, ʿAbd Allāh ibn Muḥammad, al-Qanāʿah wa-al-Taʿaffuf, ed. Muṣṭafā ʿAbd al-Qādir ʿAṭā, 1st ed. (Bayrūt: Muʾassasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah, 1413 AH / 1993).

Ibn al-Ḥājj, Muḥammad ibn Muḥammad, al-Madkhal (Dār al-Turāth).

Ibn al-Mulaqqin, ʿUmar ibn ʿAlī, Ṭabaqāt al-Awliyāʾ, ed. Nūr al-Dīn Sharībah, 2nd ed. (al-Qāhirah: Maktabat al-Khānjī, 1415 AH / 1994).

Ibn al-Mulaqqin, ʿUmar ibn ʿAlī, ʿUjālat al-Muḥtāj ilā Tawjīh al-Minhāj, ed. ʿIzz al-Dīn Hishām ibn ʿAbd al-Karīm al-Badrānī (al-Urdun: Dār al-Kitāb, 1421 AH / 2001).

Ibn Faḍl Allāh, Aḥmad ibn Yaḥyā, Masālik al-Abṣār fī Mamālik al-Amṣār, 1st ed. (Abū Ẓabī: al-Majmaʿ al-Thaqāfī, 1423 AH / 2002).

Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ʿAlī, al-Durar al-Kāminah fī Aʿyān al-Miʾah al-Thāminah, ed. group of scholars, 2nd ed. (Ḥaydar Ābād: Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah, 1392 AH / 1972).

Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ʿAlī, Muʿjam al-Shaykhah Maryam, Sitt al-Quḍāh Maryam bint ʿAbd al-Raḥmān ibn Aḥmad al-Adhraʿiyyah

(d. 797 AH), ed. Muḥammad ʿUthmān, 1st ed. (al-Qāhirah: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīniyyah, 1431 AH / 2010).
Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad, Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal, ed. Shuʿayb al-Arnaʾūṭ, ʿĀdil Murshid, and others, 1st ed. (Bayrūt: Muʾassasat al-Risālah, 1421 AH / 2001).
Ibn Ḥawqal, Muḥammad, Ṣūrat al-Arḍ (Bayrūt: Dār Ṣādir, 1938).
Ibn Khayyāṭ, Khalīfah ibn Khayyāṭ, Tārīkh Khalīfah ibn Khayyāṭ, ed. Akram Ḍiyāʾ al-ʿUmarī, 2nd ed. (Bayrūt, Dimashq: Muʾassasat al-Risālah, Dār al-Qalam, 1397 AH).
Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, Lisān al-ʿArab, ed. group of scholars, 3rd ed. (Bayrūt: Dār Ṣādir, 1414 AH / 1993).
Ibn Māzah al-Bukhārī, Maḥmūd ibn Aḥmad, al-Muḥīṭ al-Burhānī fī al-Fiqh al-Nuʿmānī, ed. ʿAbd al-Karīm Sāmī al-Jundī, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1424 AH / 2004).
Ibn Sīdah, ʿAlī ibn Ismāʿīl, al-Mukhaṣṣaṣ, ed. Khalīl Ibrāhīm Jaffāl, 1st ed. (Bayrūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1417 AH / 1996).
Ibn Taghrī Birdī, Yūsuf, al-Nujūm al-Zāhirah fī Mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah (al-Qāhirah: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Qawmī, Dār al-Kutub al-Miṣriyyah).
Jabal, Muḥammad Ḥasan, al-Muʿjam al-Ishtiqāqī al-Muʾaṣṣal li-Alfāẓ al-Qurʾān al-Karīm, 1st ed. (al-Qāhirah: Maktabat al-Ādāb, 2010).
Kirāʿ al-Naml, ʿAlī ibn al-Ḥasan, al-Munjid fī al-Lughah, ed. Aḥmad Mukhtār ʿUmar and Ḍāḥī ʿAbd al-Bāqī, 2nd ed. (al-Qāhirah: ʿĀlam al-Kutub, 1988).
Mubārak, ʿAlī Mubārak, al-Khiṭaṭ al-Tawfīqiyyah al-Jadīdah li-Miṣr wa-al-Qāhirah wa-Mudunihā wa-Bilādihā al-Qadīmah wa-al-Shahīrah, 2nd ed. (al-Qāhirah: Dār al-Kutub wa-al-Wathāʾiq al-Qawmiyyah, 1425 AH / 2005).
Reinhart [Dozy], Takmilat al-Maʿājim al-ʿArabiyyah, ed. and trans. Muḥammad Salīm al-Nuʿaymī and Jalīl al-ʿAṭiyyah, 1st ed. (al-ʿIrāq: Wizārat al-Thaqāfah, 1979–2000).
Riḍā, Aḥmad, Muʿjam Matn al-Lughah (Bayrūt: Dār Maktabat al-Ḥayāh, 1377 AH / 1958).
Taymūr, Aḥmad ibn Ismāʿīl, Muʿjam Taymūr al-Kabīr fī al-Alfāẓ al-ʿĀmmiyyah, ed. Ḥusayn Naṣṣār, 2nd ed. (al-Qāhirah: Dār al-Kutub wa-al-Wathāʾiq al-Qawmiyyah, 1422 AH / 2002).
ʿUlaysh, Muḥammad, Minaḥ al-Jalīl Sharḥ Mukhtaṣar Khalīl, 1st ed. (Bayrūt: Dār al-Fikr, 1404 AH / 1984).